وجاءت سكرة الموت بالحق

عائض بن عبد الله القرني

دار ابن حزم

وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

وجاءت سكرة الموت بالحق

عائض بن عبد الله القرني

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

آخر ساعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ساعة الاحتضار في حياة السلف هي ساعتنا التي سوف نمرّ بها. فما منّا إلا ميِّت، وما منّا إلا محتضَر، ولا منّا إلا قادم على تلك الساعة، والله لنذوقنَّها ووالله لنشربنّها... فقد ذاقها الملوك والمملوكون، والرؤساء والمرؤوسون، والأغنياء والفقراء، وذاقتها الأمم جميعاً، وأحسُّوا بالموت ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾.

وموضوعي هذا يدور على ثلاثة عناصر:

أولها: القرآن يتحدث عن الموت.

وثانيها: ذكر الموت في السنَّة المطهرة.

وثالثها: الموت عند السلف الصالح وعند المعرضين الغافلين عن الموت.

حضرت الوفاة عمرو بن العاص الذي يُسَمّى أُرطبون العرب لأنه كان داهية من الدهاة، ولكن لا حيلة في الموت... أبطل الموت حيلة الدهاة، وأعدم الموت قوة الأقوياء، ونسف الموت بنيان الأغنياء، فلما

أصبح في سكرات الموت قال له ابنه عبدالله الزاهد العابد: يا أبتي صف لي الموت، فإنك أصدق واصف للموت! هو يذوق الموت، هو يشرب الموت، هو يزاول سكرات الموت.

قال: يا بني والله كأن جبال الدنيا على صدري، وكأني أتنفس من ثقب الإبرة.

انظر إلى الوصف! كأن جبال الدنيا على صدري، وكأني أتنفس من ثقب الإبرة.

وأورد ابن رجب أن كعبَ الأحبار قال له عمر رضي الله عنه وأرضاه: صف لي الموت.

قال: يا أمير المؤمنين، ما مثل الموت إلاَّ كرجل ضُرب بغصن من شوك من سدر أو طلح فوقعت كل شوكة في عرق، فَسُحب الغصن فانسحب معها كل عرقٍ في الجسم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

إنه مصرع عظيم، والله عزَّ وجلَّ كتب الموت على الأحياء فقال جلَّ من قائل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، ولذلك كان الحسن البصري يعظ أبناءه وتلاميذه فيقول: فضح الموت الدنيا فلم يدع لذي لبٍّ فرحاً.

قال بعضهم: أعيى الأطباء علاج الموت.

وقال بعضهم: أتى العُوَّاد يعودون المرضى فمات العُوَّاد ومات المعودون.

وفي ترجمة الربيع بن خيثم الزاهد العابد أنه مرض، قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: فكرت وأردت أن أدعو طبيباً فإذا بالطبيب والمطبوب يموتان.

هيهات... تعالج قوم عاد وقوم ثمود ثم مات الطبيب والمطبوب. ومات العائد والمُعاد.

وفي سيرة أبي بكر رضي الله عنه وقد صحَّت عنه أن الناس قد حضروا وقالوا: يا خليفة رسول الله ـ وهو في مرض الموت ـ ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: الطبيب قد رآني.

قالوا: فماذا قال؟

قال: إنه يقول إني فعَّال لما أريد.

كيف أشكو لطبيبي ما بي   والذي قد أصابني من طبيبي

يقول سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾، فعلم عليه الصلاة والسلام أنه سيموت ولكنه متهيّىء منذ أن بعثه الله لهذه الساعة، وذلك المقعد، وتلك الضَّجعة.

وفي كتاب وصايا العلماء عند الموت عن أبي الدرداء رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: هل من عامل لمثل هذه الصرعة؟ هل من عامل لمثل مصرع الموت؟ هل من عامل لمثل هذه الضَّجعة؟ أو كما قال.

ولذلك ذكّرنا الله بالموت كثيراً في القرآن وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

وقال عزَّ من قائل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾.. والله لقد غفل كثير من الناس وأصابهم سُكار وما أفاقوا إلاَّ في ساعة الموت: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

وعند الترمذي بسند حسن أنه ﷺ قال: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذَّات**»، وفي رواية: «**فما ذكر في قليل إلَّا كثَّره، ولا في كثير إلَّا قلَّله**». هاذم اللذَّات هو الموت، ومفرق الجماعات، آخذ البنين والبنات، الذي أتى بالبلايا والبليات فصرعهم في الحفر المظلمات.

أتيت القبور فناديتها ... أين المعظَّم والمحتقَر
تفانوا جميعاً فما مخبرٌ ... وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا ... أما لك فيما مضى معتبَر
تروح وتغدو بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور

قال ابن كثير في البداية: مرَّ عمر بن عبد العزيز على المقابر فقال:

يا موت ماذا فعلت بالأحبَّة؟.. أين الأحباب؟ أين الأصدقاء أين الإخوان أين الجُلاَّس؟ أين السمَّار؟... يا موت ماذا فعلت بالأحبة؟ فلم يجبه أحد.

فقال وهو يبكي: أتدرون ماذا يقول الموت؟

قالوا: لا.

قال: يقول: أكلتُ الحدَقتين، وزرّقت بالعينين، وفصلت الكفين عن الساعدين، والساعدين عن العمودين، والعمودين عن الكتفين.

ولو نجا من الموت أحد لنجا منه محمد ﷺ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

مات عليه الصلاة والسلام كما يموت الإنسان، وذاق كما يذوق الإنسان، وصارع سكَرات الموت كما يصارعها الإنسان.

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

حضرته الوفاة، وصحَّ عنه ﷺ أنه كان يتناول قميصه فيضعه على وجهه وهو في سكرات الموت وعرقه يتصبب، بأبي وأمي هو، فيقول: **«اللهم أعنّي على سكرات الموت. اللهم هوِّن عليّ سكرات الموت. لا إله إلّا الله. . . إن للموت لسكرات»**، ثم يقول: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**(١).

ترقيه عائشة رضي الله عنها وأرضاها بالمعوِّذتين فيقول: **«بل الرفيق الأعلى»**(٢).

يقول: أريد الرفيق الأعلى، أريد حياة أبدية، أريد نعيماً خالداً. . . ملَّ من الدنيا وسئم من الدنيا فذاق الموت عليه الصلاة والسلام لعموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

أبو بكر الصدِّيق صحَّ عنه في السير أن الوفاة لما حضرته أتته ابنته عائشة الصدِّيقة بنت الصدِّيق المبرَّأة من فوق سبع سماوات. . . الطاهرة العفيفة، فجلست عند رأسه تبكي وتقول: يا أبتاه صدق الأول يوم يقول:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

معنى البيت وهو لحاتم الطائي كريم العرب الذي ما نفعه كرمه لأنه ما استعدَّ لساعة الاحتضار في حياته، ولذلك صحَّ عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله إن أبي كان يقري الضيف، ويحمل الكلَّ، ويعين على نوائب الحق، فهل ينفعه ذلك عند الله؟

قال: «**لا إن أباك طلب شيئاً فأصابه**»[1]، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

فمعنى البيت يقول: والله ما يغني الغنى ولا المنصب ولا الجاه إذا حشرجت الصدور بالنفوس أو حضرت النفس إلى الحَنجرة... أو حضرت سكرات الموت.

فالتفت أبو بكر إلى عائشة وقال: يا بنية لا تقولي ذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

ولما مات بحثوا عن ميراثه ـ وهو خليفة العالم الإسلامي ذهب الدنيا تحت يديه ـ فوجدوه قد خلّف بغلةً وثوبين، وقال: كفِّنوني في واحد وأرسلوا البغلة والثوب الآخر إلى عمر بن الخطاب الخليفة وقولوا: يا عمر اتق الله لا يصرعنَّك الله كمصرعي.

ووصلت البغلة والثوب إلى عمر فجلس يبكي وقال: أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر.

أي والله لقد أتعب الخلفاء بعده، والله لقد أتعب كل مسؤول أن يقتدي به أو أن يذهب مثل سيرته.

ولذلك ذكر ابن القيم وغيره من أهل العلم: أن أبا بكر كان يخرج كل صباح مع طلوع الشمس، إلى خيمة في ضواحي المدينة فيدخل على عجوز عمياء حسيرة كسيرة من الرعيَّة، فيكنس بيتها

---

(١) الإصابة (٦/ ٤٠١).

ويصنع طعامها ويحلب شياهها... أبو بكر الأول بعد الرسول عليه الصلاة والسلام... أبو بكر المجاهد الكبير خليفة رسول الله ﷺ رجل الساعة، فإذا انتهى رجع إلى المدينة.

فأخذ عمر يتفقد أبا بكر كل صباح أين يذهب، وذات مرة دخل عمر بعد أن خرج أبو بكر فقال للمرأة... من أنت؟

قالت: أنا امرأة عمياء حسيرة كسيرة، مات زوجها منذ زمن وما لنا من عائل بعد الله إلاَّ هذا الرجل الذي يدخل علينا.

قال: أتعرفينه؟

قالت: والله ما عرفته.

قال: ماذا يفعل؟

قالت: يكنس البيت ويحلب شياهنا ويصنع طعامنا.

فجلس يبكي.

سلام على أبي بكر في الخالدين، ورضي الله عنه في الصادقين، وجمعنا به في دار كرامة رب العالمين.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرَبُ ... متى حُطَّ ذا عن نعشِهِ ذاكَ يركب
نُؤمل آمالاً ونرجو نتاجها ... لعل الرجا مما نرجيه أقرب
ونبني القصور المشمخرات في الهوى ... وفي علمنا أنا نموت وتخرَب
إلى الله نشكو قسوةً في قلوبنا ... وفي كل يومٍ واعظ الموت يندب

جاء في التاريخ أن هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي تحدَّى الغمام والسحب أن تمطر في أرضه، بنى قصراً مشيداً في بغداد وقال للشعراء: ادخلوا عليّ (ليمدحوه).

فدخلوا جميعاً ثم دخل أبو العتاهية الزاهد فقال لهارون في قصيدة:

عِش ما بدا لك سالماً   في ظلِّ شاهقةِ القصور

قال هارون وقد ارتاح وانبسط وهشَّ وبش: هيه، يعني: زد.

قال:

يُجرَى عليك بما أردت   مع الغدو مع البكور

قال: هيه.

قال:

فإذا النفوس تغرغرت   بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً   ما كنت إلاَّ في غرور

فهوى يبكي حتى أغمي عليه.

ولما حضرت عمر بن الخطاب الوفاة وأنتم تعلمون ما هي وفاة عمر العظيمة... فالصحابة ما بين صدِّيق أو شهيد:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري

أما أكثر من يموت من المترفين فإنه يموت تُخمةً، فهو شهيد الطعام والكباسي! والأكلات وما أدراك ما الأكلات والمرطِّبات، وما أدراك ما المرطِّبات؟

حجَّ عمر ووقف عند المحراب ورفع يديه... خليفة شابَ رأسه في العدل، ونحل جسمه في الصلاح، وذاب جماله في طاعة الله! أثّر الدمع في خديه... صادقٌ في الليل صادقٌ في النهار.

قال: اللهم إنها ضاعت رعيتي، ورقَّ عظمي، ودنا أجلي، فاقبضني إليك غير مفرِّط ولا مفتون... اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتة في بلد رسولك.

والله يقول: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، ويقول سبحانه

وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾.

عاد وهو صادق ووصل المدينة، فقال بعض الصحابة: يا أمير المؤمنين تطلب الشهادة في المدينة! الذي يطلب الشهادة يخرج إلى الثغور.

قال: هكذا سألت، وأسأل الله أن يلبي لي ما سألت...

وفي إحدى الليالي رأى وكأن ديكاً رومياً نقره ثلاث نقرات، فسأل أهل العلم من أهل تعبير المنام فقالوا: يقتلك رجل من العجم، فاستودعَ الله نفسه وصلّى بالناس صلاة الفجر وطُعن في المحراب ووقع صريعاً شهيداً في أحسن بقعة وفي أجلِّ فريضة، وحُمل على أكتاف الرجال وهو يقول: أصليت الفجر؟

قالوا: لا.

فأُغمي عليه، فلما وضعوا خدَّه على وسادة قال: ارفعوا الوسادة من تحت رأسي، ضعوا رأسي على التراب لعل الله أن يرحمني... رحمك الله... وأكرم الله أشلاءك... ورفعك الله فقد كنت صادقاً كما قال ابن مسعود: كان إسلامك نصراً، وهجرتك فتحاً، وولايتك رحمة.

يقول له علي وهو يثني عليه في سكرات الموت: لطالما سمعت رسول لله ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر... فعسى الله أن يجمعك بصاحبيك.

قال له: إليك عني، يا ليتني نجوت كفافاً لا لي ولا عليّ... فرضي الله عنه وأرضاه.

فهم قد أعدُّوا لساعة الموت وساعة الاحتضار، أعدُّوا لها من سنوات.

كان علي رضي الله عنه يقول وقد رواه البخاري في كتابه الصحيح: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، فكونوا من

أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل.

عليٌّ بن أبي طالب مدرسة من الرقائق والتوجيه والتربية.

علي بن أبي طالب كلماته تنفذ إلى القلوب مباشرة لأنه صادق مخلص.

عليّ بن أبي طالب صحَّ عنه أنه أخذ لحيته بيديه بالليل وهو يبكي ويقول: يا دنيا يا دنيَّة، طلقتك ثلاثاً لا رجعة بعدها، زادك حقير، وعمرك قصير، وسفرك طويل. آه من وحشة الزاد وبعد السفر ولقاء الموت.

وله مقطوعة نُسبت إليه يقول فيها:

لا دارَ للمرء بعد الموتِ يسكُنها ... إلاَّ التي كان قبلَ الموت بانيها
فإن بناها بخيرٍ طابَ مسكنه ... وإن بناها بشرّ خاب بانيها
أموالُنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الموت نبنيها
فاعمل لدار غداً رضوان خازنها ... الجار أحمد والرحمان بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

روى مسلم في الصحيح قال: حضرت الوفاة عمرو بن العاص فبكى بكاء طويلاً... ومتى يبكي الإنسان إذا ما بكى في تلك الساعة؟ متى يتهيأ لذلك المصرع؟... متى يندم إذا لم يندم تلك الفترة؟

قال: فلما بكى أتى ابنه عبد الله فأخذ يحسِّن ظنَّه بالله ويرجِّيه ويقول: يا أباه أما أسلمت؟ أما هاجرت؟ أما ولاَّك رسول الله ﷺ ولاية كذا على الجيش؟ أما فتحت مصر؟

قال: فحوّل وجهه إلى الحائط ثم بكى طويلاً، ثم أعاد وجهه إلى الناس فقال: إني عشت حياتي على طباق ثلاثة:

كنت في الجاهلية لا أعرف الإِسلام، وكان أبغض الناس إليَّ رسول الله ﷺ، فلو توفيت في هذه الحالة لكنت في جهنم.

ثم أسلمت فقدِمت على الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة، فلما بسط يده ليبايعني قبضت يدي، قال: ما لك يا عمرو؟

قلت: أشترط.

قال: تشترط ماذا؟

قلت: أشترط أن يغفر لي ربي ذنبي.

فتبسَّم وقال: أما تدري يا عمرو أن التوبة تجبُّ ما قبلها، وأن الإِسلام يهدم ما قبله؟!

قال: فأسلمت، فوالله ما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ... والله لو سألتموني الآن أن أصفه ما استطعت أن أصفه لأني ما كنت أملأ عينيّ منه إجلالاً له وهيبة منه، فلو مت على تلك الحالة لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

ثم تخلَّفت، فلعبت بي الدنيا ظهراً لبطن، فوالله ما أدري هل يؤمر بي إلى الجنة أو يؤمر بي إلى النار؟

فلم يبق عندي إلاَّ كلمة أحاج بها عند الله وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم قبض يده.

فأتوا يفتحون أصابعه فتعود كما كانت، فغسلوه وهو هكذا، وأدخلوه أكفانه ولفوه في أكفانه هكذا، وأدخلوه قبره وهو على هيئته. وهذا مصرع ذاقه كل رجل صالح وطالح، وسوف نسمع سيرة بعض الغافلين وهم في سكرات الموت.

وحضرت الوفاة معاذاً مع السَّحَر، فقال لابنه: اخرج يا بنيّ انظر هل طلع الفجر؟

قال: لا.

فسكت قليلاً ثم قال: اخرج انظر هل طلع الفجر؟

قال: نعم طلع.

قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار... اللهم إنك كنت تعلم أني ما أحببت الحياة لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، ولا لعمارة الديار، ولا لرفع القصور... لكن لماذا؟ لماذا تحب الحياة يا أبا عبد الرحمن يا معاذ بن جبل؟ لماذا تحب الحياة؟

قال: كنت أحب الحياة لثلاث:

لصيام الهواجر، ولقيام الليل، ولمزاحمة العلماء بالرُّكَب في حِلَق الذكر.

انظر إلى الحياة الخالدة! فليست الحياة حياة الأكل واللهو والشهوات والمغريات والسيئات... حياة الأغاني الماجنة والمجلات الخليعة والجلسات الآثمة... حياة الفراغ القاتل... حياة الأمنيات التي لا تنفع صاحبها بل تكون عليه حسرة.

هذا الجانب مما شاهده الصالحون في سكرات الموت.

• ساعة الاحتضار عند الغافلين:

وأما أهل الغفلة فقد ذكروا عنهم أخباراً كثيرة:

ذكر الذهبي أنه لما حضرت سكرات الموت عبد الملك بن مروان سمع غسَّالاً بجوار القصر فقال: ليتني كنت غسَّالاً، يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني ما توليت الخلافة.

يقول سعيد بن المسيب سيد التابعين لما سمع هذا الكلام: الحمد لله الذي جعلهم يفرُّون إلينا وقت الموت ولا نفر إليهم... فحياة توصل صاحبها إلى هذا الغرور نعوذ بالله منها.

وعبدالملك بن مروان هذا لما انتصر على مخالفيه وقتل مصعب بن الزبير بالعراق نشر المصحف يوم بويع بالخلافة وقرأ فيه ثم طبقه وقال: هذا آخر عهدي بك!

قال الذهبي معلقاً في السير: اللهم لا تمكر بنا.

أين هذا من سعد بن أبي وقاص أحد المبشرين بالجنة الذي أتت ابنته تبكي عند رأسه وهو في سكرات الموت فقال: يا بنية لا تبكي والله إني من أهل الجنة.

وصدق... هنيئاً له ومريئاً فقد شهد له ﷺ أنه من أهل الجنة.

فانظر كم بين الرجلين وكم بين المصرعين.

معاوية بن أبي سفيان الخليفة حضرته سكرات الموت فنزل من على كرسيه وكشف البساط ومرغ وجهه في التراب وقال صدق الله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾، ثم قال: ما عندي بأرجح من لا إله إلاّ الله محمد رسول الله... هذا في وصايا العلماء لكن في سندها نظر... ثم قال: إذا مت فكفنوني في بردة أخذتها من رسول الله ﷺ، وانظروا في قارورة في الديوان فيها أظفار وشعر للرسول ﷺ ضعوها في عيني وفي أنفي، ثم ذهب إلى الله.

هارون الرشيد لما حضرته الوفاة قام يستعرض جيشه، فنظر إلى الجيش وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

والواثق الذي تولّى الخلافة بعد المعتصم وكان بطّاشاً شديداً فيه جبروت وهو الذي قتل أحمد بن نصر الخزاعي العالم الشهير... عالم شهير من قيادات أهل السنة والجماعة ومن واجهات العلماء... أحمد بن نصر الخزاعي الذي له كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنّة).

دخل على الواثق فناداه الواثق للقول بخلق القرآن فرفض وأنكر وأبى وما استسلم، فتقدم إليه الواثق بالحربة وطعنه حتى ذبحه ذبح الشاة.

الواثق هذا لما أدركته سكرات الموت يقول السيوطي في تاريخ الخلفاء: لما أضجعوه ومات وأسلم روحه أتى فأر فأخذ عينيه فأكلها! ليُري سبحانه وتعالى الناس الجبابرة في الدنيا ذلك.

ودخل طاووس عالم اليمن على أبي جعفر المنصور، وأبو جعفر جبار من الجبابرة ذبح الملوك وذبح الأمراء والوزراء... داهية من دهاة الناس لكن ذهب إلى الله... فأتى ذباب يقع دائماً على أنف أبي جعفر فيهشه فيعود عليه.

فقال: يا طاووس لماذا خلق الله الذباب؟

قال طاووس: ليذل به أنوف الطغاة! فسكت.

ثم قال له: ناولني الدواة، دواة يكتب بها أبو جعفر.

قال: لا والله، إن كنت تريد تكتب حقاً فما أنا بخادم لك، وإن كنت تريد باطلاً فلا أعينك على الباطل! ثم قام: وتركه، وهذا من مواقف العلماء الأتقياء مع الغافلين.

وابن أبي ذئب دخل عليه المهدي في المسجد النبوي وهو الخليفة ابن أبي جعفر المنصور فقام الناس إلاَّ ابن أبي ذئب المحدِّث ما قام.

فقال له المهدي: لماذا لا تقوم لنا كما قام الناس؟

قال: والله الذي لا إله إلاَّ هو أردت أن أقوم لك فتذكرت قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾ فتركت القيام لذلك اليوم!

قال: اجلس والله ما بقيت شعرة في رأسي إلاّ قامت.

وذكر عبدالحق الإشبيلي أن المعتصم أتته الوفاة... المعتصم القائد العسكري الخليفة الذي فتح عمورية بتسعين ألفاً.

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب

يقول بعض المؤرخين: كان يأخذ السيخ من الحديد فيكتب اسمه من قوته... كان من أقوى الناس... حتى يقول أحد المحدثين: دخلت على المعتصم فمدّ لي ذراعه وقال: أسألك بالله أن تعض يدي!

قال: فعضضت يده.

فوالله ما أثّرت أسناني في لحمه... لكن هذه القوة صرعها هاذم اللذات ومفرق الجماعات وآخذ البنين والبنات.

حضرته الوفاة... فقال: أموت اليوم؟

قالوا: تموت اليوم... كان شاباً في الأربعين يظن الإنسان لا يموت إلاّ بعد السبعين.

فنزل من على سريره وهو يدعو فقال: والله لو ظننت أو اعتبرت أنني سأموت اليوم ما فعلت ما فعلت من المعاصي.

سبحان الله! ما الفرق بين اليوم وغداً؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾.

ولا يستفيق المسكور بالمعاصي إلاّ في سكرات الموت فكم يعظ الواعظ؟ وكم يتحدث العلماء؟ وكم يدعو الدعاة؟ ولا يستجيب بعض الناس إلاّ إذا حشرجت نفسه بصدره، فلا إله إلاّ الله ما أغفله!

أما الأخيار فقد علموا أن الطريق إلى الله تأتي بالتهيؤ لسكرات الموت.

عمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد العابد الذي صحّ عن الإمام أحمد أنه قال: ليس أحد من التابعين قوله حجة إلاّ عمر بن عبد العزيز، لما حضرته الوفاة قال لامرأته فاطمة: اخرجي من غرفتي فإني أرى نفراً ليسوا بإنس ولا جن (ملائكة) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ اللهم اجعلنا منهم... اللهم ثبتنا بالقول الثابت يوم تضيق بنا نفوسنا ويشتد عليها كربها فلا يكون ملجأ ولا منجى منك إلاّ إليك، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

كثير من الناس أدركتهم سكرات الموت وهم في معاص كالجبال، إما دم... إما فروج... إما زنا... إما شرب خمر... إما رباً، إما غناء... إما تخلف عن الصلوات الخمس... إما تجاهل لرسالة الرسول ﷺ وطلب العلم.

فلا إله إلاّ الله ما أغفلهم!

دخل سعيد بن جبير على الحجاج بعد أن قبض عليه فقال له الحجاج: من أنت؟ (مستهزئاً).

قال: سعيد بن جبير.

قال: بل أنت شقي بن كسير.

قال: أمي أعلم باسمي منك.

قال الحجاج: شقيت أنت وشقيتْ أمك... ثم قال: والله لأدخلنك ناراً تلظى.

قال سعيد: لو كنت أعلم ذلك لاتخذتك إلهاً!

قال الحجاج: عليّ بالمال... فأتوا بالذهب والفضة.

قال سعيد: يا حجاج إن كنت جمعته لتتقي به من عذاب شديد فنعم ما صنعت... وإن كنت جمعته رياءً وسمعة فوالله لا يغني عنك من الله شيئاً.

فقال الحجاج: عليّ بالجارية تغني!

فبكى سعيد... فقال له الحجاج: أهو طرب؟

قال: لا والله ولكن جارية سُخّرت في غير ما خلقت له، وعود قُطع ليستخدم في معصية الله أبكياني.

قال الحجاج: وجِّهوه لغير القبلة.

قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

قال: اطرحوه أرضاً!

قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

قال: والله لأقتلنك قِتلة ما قتلها أحد من الناس.

قال: يا حجاج اختر لنفسك، فوالله لا تقتلني قتلة إلاَّ قتلك الله بها.

ثم قال سعيد قبل أن يُقتل: اللهم لا تسلِّطه على أحدٍ بعدي، فذبحه... فما مرَّ عليه إلاَّ أشهر كئيبة يتلوَّى فيها من المرض إلى أن أهلكه الله.

أيها المسلمون.. إن المطلوب منّا قبل أن تدركنا سكرات الموت أمور:

أولها: أن نتذكر الموت صباحاً ومساء... وهذه غفلة وقعنا فيها يوم نسينا الموت، وما بعد الموت، ولقاء الموت، وغفلنا عن ذلك ووقعنا في المعاصي والشهوات والشبهات والمخالفات وإغضاب رب الأرض والسموات، حتى وجد من بعض الشباب أنك إذا ذكرته بالموت قال: دعنا نعيش نأكل ونشرب لا تكدر علينا أوقاتنا... فضح الموت الدنيا فلم يدع لذي لُبٍّ فرحاً.

خرج النعمان بن المنذر في نزهة فقال لعدي بن زيد شاعر الجاهليين وكان حكيماً... ماذا تقول هذه الشجرة؟

قال: تقول:

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا   يخلطون الخمر بالماء الزلال
ثم ساروا لعب الدهر بهم   وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فرفع الخمر وأخذ يبكي... فلا بد من ثلاثة أمور:

أولها: تذكر الموت بأن يكون في ذهنك كالصُّداع.

ذكروا عن ميمون بن مهران الزاهد العابد العالم أنه حفر قبراً في داره فكان ينزل كل ليلة في القبر وهو يبكي ويقرأ القرآن ثم يخرج ويقول: ها يا ميمون قد عدت إلى الدنيا فاعمل عملاً صالحاً.

وبعض الناس جعل كفنه في بيته ينظر إليه دائماً ويذكر مصرعه.

ومنهم من كتب كتابة في بيته يقول: اذكر الموت... اذكر هاذم اللذات... فتذكر الموت يأتي بهذه الدواعي.

ومن دواعي تذكر الموت زيارة القبور، وهذا مع غلبة الحضارة واختلاط الناس ومع المغريات والشهوات ومع ما وجد من مطعومات وملبوسات ومفروشات قد قلّ كثيراً فنُسي الموت.

فيا أيها المسلمون، إن من أعظم ما يذكر بلقاء الله... الزيارة الشرعية للقبور، بأن تزورها وتسلِّم على أهل المقابر وتدعو لهم وتذكر كيف أخذهم هاذِم اللذّات، وكيف صرعهم في الحفر المظلمات، وكيف أخرجهم من الدور ومن العمار ومن القصور... أكلوا وشربوا، واستأنسوا ولبسوا، وضحكوا، وركبوا السيارات الفاخرة، وتقلدوا المناصب، وسعدت بهم المواكب، ورفعوا البيوت وحُفت بهم الجنود، واحتشدت عليهم الأنام وارتفعت على رؤوسهم الأعلام، ثم سُلبوها جميعاً ودفنوا هناك، فالله المستعان.

ومما يذكر الموت ولقاء الموت: مجالسة الصالحين والاستئناس بزيارتهم وطلب النفع والفائدة منهم. وأصلح الصالحين طلبة العلم الشرعي وطلبة الكتاب والسنّة، فإنهم على بصيرة، وهم من أصلح العباد، ويكون ذلك بحضور مجالسهم ودروسهم ومحاضراتهم وسماع كلامهم وزيارتهم والدعاء لهم وحبهم في الله وهي العروة الوثقى ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم	لعلِّي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي	ولو كنا سواء في البضاعة

فإذا علم ذلك فهذا يدعو للاستعداد لسكرات الموت.

الثاني: تدبر القرآن، ومعايشة القرآن، وحفظ ما يستطاع من القرآن والعمل بالقرآن.

يقول أحد الصالحين: قرأت الرقائق والمواعظ فما وجدت كتدبر القرآن.

والقرآن إذا صادف قلوباً واعية كان له أثر كبير... ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً**

لأصحابه»[1]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[2].

ثالثاً: قِصَر الأمل، يقول ابن عمر رضي الله عنهما في صحيح البخاري: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»... وكان ابن عمر يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك.

فيا أيها المسلمون... بادروا بالتوبة النصوح إلى الله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

فلا يستعد للموت إلاَّ من بادر بالتوبة وجدَّدها.

حضرت الوفاة الأعمش المحدِّث الكبير فبكى أبناؤه فقال: لا تبكوا عليّ، فوالله ما فاتتني تكبيرة الإحرام مع الإمام ستين سنة!

وقال سعيد بن المسيب وهو في سكرات الموت: الحمد لله ما أذّن المؤذن أربعين سنة إلاَّ وأنا في مسجد الرسول ﷺ.

فهؤلاء النفر كانوا يستعدون للموت بالأعمال الصالحة وبالتوبة النصوح صباحاً ومساءً.

وعامر بن ثابت بن الزبير كان يسأل الله الميتة الحسنة، فلما سئل عنها قال: أن يتوفاني الله وأنا ساجد. فصلَّى المغرب يوماً فقبضه الله وهو في السجود في الركعة الأخيرة، فطوبى لهم من قوم صالحين.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

وأما الغافلون فإنما يموتون على لَهْوِهِم ومعاصيهم، وقد ذكر العلماء نماذج من نهاياتهم المحزنة.

فأحدهم مات وهو يردِّد إحدى الأغاني لمطربة مشهورة وأبى أن يقول الشهادة، نسأل الله العافية.

وآخر يقولون له: قل لا إله إلاَّ الله، فيقول: ٦×٥ تساوي كم؟ فيعيدون عليه فيعيد قوله إلى أن مات.

ولذلك من شبَّ على شيء شاب عليه، ومن أكثر من شيء مات عليه، وهذا مشاهد. فعليكم أحبتي بالإِكثار من قراءة القرآن والذكر بأنواعه لعلَّ الله أن يتوفاكم عليها.

أسأل الله أن يثبِّتني وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد.

كفى بالموت واعظاً

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه... ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا... من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له... وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله... صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

يقول الحافظ الحكمي رحمه الله:

والموت فاذكره وما وراءه ... فمنه ما لأحدٍ براءه
وإنه للفيصلُ الذي به ... ينكشف الحال فلا يشتبهِ
والقبرُ روضةٌ من الجنانِ ... أو حفرةٌ من حفر النيرانِ
إن يك خيراً فالذي من بعده ... أفضل عند ربنا لعبده
وإن يكن شراً فما بعدُ أشدّ ... ويلٌ لعبدٍ عن سبيل الله صدّ
تالله لو علمت ما وراءكَ ... لما ضحكت ولأكثرت البكا

عباد الله... يمر الإنسان في قافلة الموت... ويتذكر هذا المصير المحتوم... وهذه الساعة المقضاة من الله على ابن آدم... ساعة الموت التي يذل فيها الجبّار... ويُذعن فيها العاصي... ويعود فيها المتمرد... ويتوب فيها المذنب.

ساعة الموت الساعة الأليمة التي يمر بها الملك والمملوك...

والرئيس والمرؤوس... والغني والفقير.

وكان من الجميل بنا أن نذكر بعض قصص المحتضَرين... وأخبارهم وأنباءهم... لعلنا أن نتذكر هذا المصرَع الذي لا يفوتنا أبداً وسوف نمر به ولو طالت أعمارنا ولو تمتعنا بالشباب والصحة... ولو ملكنا السيارات والعمارات... ولو سكنا في الشقق الفاخرة... ولو لبسنا الثياب الوثيرة الجميلة... ولو تمتعنا بالمطاعم وجلسنا على الموائد... وتزاورنا وضحكنا كثيراً.

سوف تمر بنا هذه الساعة التي تُنسي ما قبلها والتي يتذكر فيها الإنسان حسابه مع الله... ماذا فعل؟ ماذا قدّم؟ ماذا عمل بتلك الساعات التي أفناها في القيل والقال؟ وفي اللهو واللعب؟ وفي مرافقة أقران السوء؟

ولو نجا أحدٌ من الناس من ساعة الموت تلك لكان الواجب أن ينجو محمدٌ ﷺ... ولكنه والله ما نجا... فقد مرّ بها كما يمر بها الإنسان العادي... ووقف معها كما يقف الإنسان العادي... وهو أشرف الخلق على الله تبارك وتعالى... وهو أكرم الناس على رب الناس... لكنه تلقاها برحابة صدر لأنه أحسن العمل مع الله.

يروي البخاري ومسلم أنه لما احتُضر ﷺ وضع خميصة ـ قطعة قماش ـ على وجهه الشريف من شدة الكرب وهو يقول: «**لا إله إلّا الله... لا إله إلّا الله... لا إله إلّا الله إن للموت لسكرات... اللهم أعني على سكرات الموت... اللهم خفف عليَّ سكرات الموت**».

تقول عائشة: بأبي هو وأمي... والله إنه كان يضعها في الماء ثم يضعها على وجهه ويقول: «**اللهم أعنّي على سكرات الموت**»... ثم يقول ﷺ وهو في السياق... «**بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى... بل الرفيق الأعلى**».

وقال الصحابة إنما قال ذلك ﷺ لأنه خُيّر بأن يُمدّ له في عمره وأن يُنسأ له في أجله أو يلقى ربه.

فقال: «**بل الرفيق الأعلى**»... أي الآن أريد اللقاء... الآن أريد الرحيل من هذه الدنيا... الآن أريد الموت في هذه الساعة... لأنه يعلم ﷺ أنه مهما طال عمره ومهما امتد أجله فإنه سوف يلقى هذا المصرع.

● وقف موسى عليه السلام فقال: «**يا ربي أريد عمراً طويلًا**».

قال الله سبحانه وتعالى: «**يا موسى اختر ما شئت**»، فجاء ملك الموت إليه ليقبض روحه بعد هذا العمر الطويل فضربه موسى عليه السلام ففقأ عينه.

فعاد ملك الموت إلى الله فقال: أرسلتني لعبدٍ لا يريد الموت ففقأ عيني.

فرد الله عليه عينه وعاد ملَك الموت إلى موسى ليقبض روحه وقال له: يا موسى تمنّ ما شئت من العمر.

قال: «ثم ماذا؟» قال: ثم تموت.

قال: «الآن إذن!» فقبض روحه.

● ونوح عليه السلام سئل قبل موته: كيف رأيت الحياة بعد هذا العمر الطويل؟

فقال: رأيت كأني دخلت بيتاً له بابان... دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

ولذلك يقول أبو العتاهية:

نُح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح   لتموتن وإن عُمّرت ما عُمّر نوح

● روى أهل السّير أن أبا بكر رضي الله عنه لما احتُضر دخلت عليه ابنته عائشة فسلّمت عليه وبكت طويلاً ونظرت إليه.

ثم قالت: صدق الشاعر يا أبتاه إذ يقول:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فالتفت إليها وقال: «**كذب الشاعر وصدق الله**»، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

● دخلوا على معاوية رضي الله عنه في الموت وهو على سرير الملك... وهو في دمشق فلما أتاه الموت قال: أنزلوني على التراب.

فقالوا: يا خليفة المسلمين ويا أمير المؤمنين السرير أرفق بك.

قال: أنزلوني لا أبا لكم!!

فلما وضعوه في التراب كشف البساط ووضع خده وبكى طويلاً على التراب وقال: صدق الله سبحانه وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

● عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي لما حضرته الوفاة بكى طويلاً وقال: يا ويلتاه. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾. يا ليتني كنت غسّالاً... فبكى الناس حوله من كلامه هذا.

فلما بلغ كلامه سعيدَ بن المسيب رحمه الله قال: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا وقت الموت ولا نفر إليهم.

لأنهم لا يستيقظون إلاً وقت الموت ولا يتنبَّهون إلاً في هذه الساعة.

ولذلك الذكي كل الذكي الذي يُعدّ لهذه الساعة ولا يغتر بالشباب ولا بالصحة.

● خرج عمر رضي الله عنه على المسلمين يوم الجمعة فصلّى

بهم ثم بكى في الخطبة بكاءً عظيماً... ثم قال: أيها الناس... إني رأيتُ في منامي أن ديكاً رومياً ينقرني ثلاث نقرات وقد عرضت هذه الرؤيا على أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة جعفر فأخبرتني أن رجلاً من (الموالي) سوف يطعنني ثلاث طعنات، فإذا أنا طُعنت فالله خليفتي عليكم وأوصيكم بتقوى الله وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه... ونزل رضي الله عنه.

وعاد في فجر يوم السبت ليصلي بالناس وكان من هديه رضي الله عنه أن يقرأ سورة يوسف فابتدأ فيها حتى بلغ قوله تعالى حكاية عن يعقوب ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾، فضجّ بالبكاء رضي الله عنه وقطع صوته في القراءة وبكى الناس خلفه، ولما ركع تقدم إليه ذاك المارد الفاجر أبو لؤلؤة المجوسي بخنجره الذي يحمله وطعنه ثلاث طعنات.

فلما طُعن قال: الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر... ثم هوى صريعاً في المحراب شهيداً في سبيل الله تبارك وتعالى.

وجاء عبدالرحمن بن عوف فأكمل الركعة الثانية رضي الله عنه وصوته يتقطع بالبكاء لأنه علم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد ودّع الحياة.

وفرَّ أبو لؤلؤة وأخذ في طريقه يطعن الناس يَمنةً ويَسرة حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً... مات منهم سبعة وبقي ستة جرحى.

وتقدم ابن عباس رضي الله عنهما فقال لعمر وهو على فراش الموت: السلام عليك يا أمير المؤمنين... فيقاطعه عمر ويقول: لستُ للمؤمنين بأمير... إنني أصبحت من أهل الدار الآخرة اليوم.

فيقول: السلام عليك يا أبا حفص... والله لقد أسلمت فكان

إسلامك نصراً لله ولرسوله وللمؤمنين... وهاجرت فكانت هجرتك فتحاً... وتولَّيت فكانت ولايتك عدلاً.

فبكى عمر رضي الله عنه من هذه الكلمات وقال: إليك عني يا ابن عباس والله لوددت أني أخرج من الدنيا كفافاً لا لي ولا عليّ.

ثم تقدّم علي بن أبي طالب عليه رضوان الله... فقال: السلام عليك يا أبا حفص، والله لقد كنت أسمع رسول الله ﷺ في حياته يقول: «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر... ودخلت أنا وأبو بكر وعمر... وذهبت أنا وأبو بكر وعمر**». فأسأل الله عزَّ وجل أن يحشرك مع صاحبيك.

فبكى عمر ثم قال للناس: أيها الناس أستودعكم الله... أوصيكم بتقوى الله... الصلاة الصلاة... فأُتي له بلبن فشرب فخرج من جنبه رضي الله عنه وأرضاه.

تقدم إليه شاب ليعزيه... وكان هذا الشاب مطيلاً لثوبه يجر إزاره في الأرض... فسلَّم على عمر رضي الله عنه وقبَّل رأسه.

وقال: أستودعك الله يا أمير المؤمنين... أحسن الله عزاءك في نفسك.

فقال عمر: يا ابن أخي... ارفع إزارك!

يوصيه برفع الإِزار وبتقصير الثوب في تلك الساعة.

ارفع إزارك فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك.

فقال الشاب: جزاك الله عن الإِسلام والمسلمين خير الجزاء.

فيقول عمر: بل جزى الله الإِسلام عني خير الجزاء. ثم قُبض رضي الله عنه.

● معاذ بن جبل رضي الله عنه... أتته سكرات الموت مع

الفجر. . . فقال: اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار. . . اللهم إنك تعلم أني لم أحب الحياة لغرس الأشجار ولا لجري الأنهار ولا لعمارة الدور. . . ولا لبناية القصور، لكني والله كنت أحب الحياة لثلاث خصال:

لمكابدة الهواجر، أي صيام الأيام الحارة.

ولقيام الليل.

ولمزاحمة العلماء في حِلَق الذكر.

أما نحن لو سئلنا لقلنا: كنا نحب الحياة لنزور فلاناً وعلاّناً، ونركب السيارة الفاخرة، ونسكن في الشقة الوثيرة، ولنتمتع بالمطاعم والملابس، ولنتقلَّد المناصب، ولنجمع الأموال، ولنعتدّ بالأولاد. . . هذه حياتنا التي لا تختلف عن حياة البهائم. . . إلاَّ في أننا ننطق ونعرف ونتكلم.

لذلك واجب علينا أن نعود إلى السلف الصالح لندرس حقيقة الموت وفلسفة الموت معهم. . . كيف استعدوا للموت. . . وكيف عاشوا مع الموت.

● روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة في مصر حوّل وجهه إلى الحائط وبكى بكاءً طويلاً.

فجاء ابنه عبدالله الزاهد العابد فقال: يا أبتاه ما لك تبكي؟ وأراد أن يحسّن ظنه بالله عزَّ وجل. . . يا أبتاه أما صحبت الرسول ﷺ. . . أما ولاّك غزوة ذات السلاسل. . . أما مدحك. . . أما صاحبت أبا بكر وعمر. . . أما فتحت مصر. . . أما جاهدت أما فعلت؟

فلما طال كلام عبدالله ابنه. . . وطال بكاء عمرو التفت عمرو إلى الناس. . . فقال: أيها الناس إني عشت حياتي على طباق ثلاثة وسوف أعرضها لكم.

كنت في الجاهلية لا أعرف الإِسلام وكان أبغض الناس إليَّ رسول الله ﷺ... والله لو تمكنت منه لقتلته غيلة... ولو متُّ على تلك الحالة لكنت من أهل النار.

ثم رزقني الله الإِسلام... فهاجرت من مكة إلى المدينة... فأتيت رسول الله ﷺ وهو في مسجده فلما رآني هشَّ وبشَّ في وجهي بأبي هو وأمي، واستقبلني وقال: حيهلا يا عمرو.

قال: فصحبته وأحسنت صحبته، والله ما كنت أملأ نظري منه ﷺ حياءً منه، والله لو سألتموني الآن أن أصفه لكم لما استطعت، فيا ليتني مت على تلك الحالة.

ثم تخلفت بعده ﷺ فلعبتْ بي الدنيا ظَهْراً لبطن... فوالله لا أدري هل يؤمر بي إلى الجنة فأنا من السعداء أو يؤمر بي إلى النار فأنا من الأشقياء... لكنْ والله ما أستعد بعمل إلاَّ بشهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله... ثم قبض يده هكذا على لا إله إلاَّ الله.

قال ابنه عبدالله: فأتينا لنغسّله وفتحنا أصابعه فما استطاعت أن تنفتح وبقيت مضمومة... قال: فأدخلناه في كفنه وأصابعه مضمومة وأدخلناه في قبره وأصابعه مضمومة... رضي الله عنه وأرضاه.

فالعدة كل العدة أن تستعد لهذا المصرع... والحزم كل الحزم أن تحفظ وقتك وأن تستعد بعمل صالح لهذا المصرع.

● كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى إذا جلس مع الناس يجلس قليلاً وهو يسبّح ثم ينتفض وإذا هو واقف.

فيقولون له: ما لك يا أبا سعيد؟ قال: والله لقد ذكرت الموت.

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشي
إذا ليلةٌ هرّمت يومها ... أتى بعد ذلك يوم فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا ... وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

ولذلك يقول الذهبي: كان سبب موت سفيان الثوري أن ذكرى الموت فتّت كبده حتى عُرض على الطبيب فقال: هذا رجل لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام!

قرأ سورة ألهاكم التكاثر بعد صلاة العشاء فبقي يرددها ويبكي حتى الصباح... كان يبكي أهله وجيرانه من بكائه رضي الله عنه وأرضاه... لأنه علم علم اليقين بالموت.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾، لأن علمنا الآن في الآخرة علمٌ ظني ليس علم يقين... ندري أنّا سوف نموت... وندفن الأجداد والآباء والأمهات والإخوان... لكنه علم ظني وعلم نظري ما تعمَّق في قلوبنا... ولو تعمَّق في قلوبنا لكنّا أقبلنا على الله وتجرَّدنا إلى الله وأتينا بهمَّة وعزيمة إلى الله... وحفظنا أوقاتنا مع الله.

● ميمون بن مهران... الزاهد العابد التابعي حفر قبراً في حظيرته بجانب داره وسوّاه وجعل فيه صفائح ثم جلس فيه... فإذا ضاق به الحر والظلام خرج مفزعاً من الحفرة (القبر) ثم بكى بكاءً طويلاً وقال لنفسه: يا ميمون قد خرجت من القبر فاعمل عملاً صالحاً.

وبعضهم كان يأتي بكفن ويعلقه في سقف بيته... فكلما أصبح نظر إلى الكفن وبكى ليتذكر الموت.

● أسباب تذكّر الموت:

من أسباب تذكر الموت أمور سوف ألخصها لكم في ثلاثة أسباب:

السبب الأول: أن تزور القبور... وأن تكثر من زيارتها فلا تلهك الأسواق عن زيارة القبور ولا المعارض ولا القصور ولا الدور ولا الحفلات ولا الأشجار والحدائق.

اجعل زيارة واحدة للقبور ثم قف قليلاً وتذكر... أين زملاؤك الذين عاشوا معك؟... أين الذين عرفتهم وعرفوك؟... أين الذين ضاحكتهم وضاحكوك؟

عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الخليفة الزاهد صلَّى العيد بالناس وخرج رضي الله عنه فلما مرَّ بالمقبرة وقف وبكى بكاءً طويلاً... ثم قال: يا أيها الناس هذه قبور أجدادي وآبائي وإخواني... وجيراني.

أتدرون ماذا فعل بهم الموت؟

ثم بكى طويلاً... فقال الناس: ماذا فعل يا أمير المؤمنين؟

قال: يقول الموت: إنني فقأت الحدقتين، وأكلت العينين، وفصَلت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والقدمين من الساقين، والساقين من الركبتين، وفصلت كل شيء على حِدة!

ثم بكى فبكى الناس جميعاً البار والفاجر.

هذه المواعظ التي تعطيك دروساً لا تنساها أبداً فلا بد أن تقف عند المقبرة ولو مرة في الأسبوع لتتذكر أباك وعمك وخالك وأمك وجدتك، تتذكر من صرعوا بهذا المصرع.

السبب الثاني: أن تقرأ كتاب الله بتدبُّر فتتباكى إذا لم تبكِ.

يقول عمر: إذا لم تبكوا فتباكوا.

اقرأ وقف قليلاً وتدبّر لعل الله سبحانه وتعالى أن يرزقك إنابة وأن يعيدك إلى حزبه.

السبب الثالث: صحبة الصالحين. . . ففي الجلوس معهم تتنزل الرحمات من السماء وتحفك السكينة ويغشاك الله بفضل من رحمته ويذكرك الله فيمن عنده. فيذكرونك بالموت وبالحياة الأخرى. . . ولا يلهونك عنهما بلهو أو لعب كغيرهم من الجلساء غير الصالحين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبدل حالنا بأحسن منها، وأن يردنا إليه رداً جميلاً، وأن يتولانا فيمن تولى، وأن يُحلِّينا بالإِيمان وبحليتي اليقين والإِحسان، وأن يذكرنا المصير المحتوم وأن يجعلنا ممن يستعد له الاستعداد الطيب، وأن يحفظ علينا أوقاتنا وأعمارنا وحياتنا.

إنه القادر على ذلك وحده. . . وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

إذا وضعت في الحفرة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله... بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أول ليلة في القبر بكى منها العلماء وشكى منها الحكماء، ورثا إليها الشعراء أنفسهم، وصنفت فيها المصنفات.

فهي ليلة موحشة مخوّفة. قد أعد لها الصالحون قديماً وحديثاً العدّة وشحنوا أنفسهم لملاقاتها... فتنوعت عواطفهم تجاهها وتباينت مشاعرهم حولها. وسنستمع إلى شيء من أخبارهم في ذلك... لعل الله أن ينفعنا بتلك الأخبار ويهوّن علينا هذه الليلة. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾.

١ ـ أحد الصالحين لدغته حية، في سفر نسي قبله أن يودِّع أمه وأباه وأطفاله وإخوته... فقال قصيدة يلفظها مع أنفاسه هي أم المراثي العربية في الشعر العربي. يقول وهو يزحف إلى القبر:

فـلـلـه درّي يـوم أتـركُ طـائـعـاً   بـنـيَّ بـأعـلـى الـرقـمـتـيـن وداريـا

يقـولـون لا تُبعـد وهـم يـدفـنـونـني   وأيـن مـكـان الـبـعـد إلاَّ مـكـانـيـا

يقول: كيف أفارق أطفالي في لحظة؟ ولماذا لم أستأذن أبويّ في هذا الرحيل؟

أهكذا تُختلس الحياة؟ أهكذا أذهب؟ أهكذا أفقد ممتلكاتي ومقدراتي في لحظة؟

ويقول: يقول لي أصحابي والذين يتولون دفني لا تبعد أي لا أبعدك الله، وأين مكان البعد إلاَّ هذا المكان، وأين الوحشة إلاَّ في هذا المنقلب، وأين المكان المظلم إلاَّ هذا المكان.

فهل تصوَّر متصوِّر ذلك الوضع الغريب عليه وقد قيل له ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾.

كلا! لقد رُفض طلبك وخاب ظنك. الآن تراجع حسابك، الآن تتوب، الآن تنتهي عن المعاصي؟

فأين كنت قبل هذه الليلة. اللهم ارحمنا!

٢ ـ قال الذهبي مؤرخ الإسلام: مات الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم وكان في ريعان الشباب.

فذهبوا به إلى المقبرة فوجدَت عليه امرأته، وحزنت عليه حزناً لا يعلمه إلاَّ الله. فأخذت أطفالها وضربت خيمة حول القبر(١)، وأقسمت بالله لتَبكينه هي وأطفالها سنة كاملة، وظلت في هلع عظيم، وحزن بائس، وبقيت تبكي.

فلما وفَّت سنة أخذت أطناب الخيمة وحملتها وأخذت أطفالها في الليل فسمعت هاتفاً يقول لصاحبه في الليل: هل وجدوا ما فقدوا؟

فرد عليه الهاتف الآخر فقال: لا. . . بل يئسوا فانقلبوا.

فلم يكلمهم ميتهم من القبر، ولم يخرج إليهم ولو ليلة واحدة، ولم يُقبّل أطفاله، ولم ير زوجته وعشيرته.

---

(١) هذا اجتهاد خاطىء منها رحمها الله. وإلاَّ فإن هذا العمل غير مشروع في الإسلام. [الناشر].

كنز بحلوان عند الله نطلبه   خير الودائع من خير المؤدينا

فإن كان المرء من المحسنين قيل له ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾.

٣ ـ نحنُ في أَبْها فقدنا شابين اثنين من أسرتين من أسر أبها وقع لهما حادث انقلاب وهم سائرون في طاعة الله. فكانت اللوعة والحزن الشديد عليهم، ولكنْ عزاؤنا في الله أنهما كانا شابين صالحين مستقيمين على أمر الله.

أما أحدهما: فكان مصاحباً للقرآن. والقرآن رفيقه، والرسول ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً**»[1].

هذا الشاب كان يختم القرآن كل سبعة أيام، بل قالت أمه وأبوه: إنه كان يقوم الليل.

فلذلك خفَّت المصيبة لأنه قدم على قبر هو روضة من رياض الجنة إن شاء الله.

وأما زميله الآخر فمستقيم على أمر الله، لا يعرف إلاَّ المسجد والمصحف والرفقة الصالحة، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾. فنسأل الله أن يجعل ليلتهما في القبر ليلة أنيسة منوَّرة... جزاء بما عملوا من تلكم الصالحات.

٤ ـ أتى أبو العتاهية يقول لسلطان من السلاطين غرَّته قصوره وجنوده وملكه وجاهه فلم يتذكر أول ليلة ينزل فيها القبر.

عش ما بدا لك سالماً   في ظل شاهقة القصور
يُجرى عليك بما أردت   مع الغدوِّ مع البكور

---

(١) رواه مسلم.

أي عش ألف سنة... عش مليون سنة سالماً... معافىً... مشافىً يُجرى عليك بما أردت مع الغدو مع البكور، فكل ما تريد من طعام وشراب ولذة هو عندك... ولكنْ.

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت إلاّ في غرور!

فبكى السلطان حتى أغمي عليه لما تذكر هول أول ليلة في القبر. فما أثقلها من ليلة!

٥ - خرج ﷺ إلى تبوك، وفي ليلة من الليالي نام هو وأصحابه وكانوا في غزوة في سبيل الله، قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: قمت في الليل فنظرت إلى فراش الرسول ﷺ فلم أجده في فراشه فوضعت كفي في فراشه فإذا هو بارد، وذهبت إلى فراش أبي بكر فلم أجده على فراشه. فالتفتُّ إلى فراش عمر فما وجدته، وذلك وسط الليل.

قال: وإذا بنور في آخر المخيم في طرف المعسكر، فذهبت إلى ذلك النور فإذا قبر محفور والرسول ﷺ قد نزل في القبر وإذا بجنازة معروضة للدفن لميّت قد سُجي في الأكفان، وأبو بكر وعمر حول الجنازة والرسول ﷺ في القبر.

فدمعت عيناه ﷺ... ثم التفت إلى القبلة ورفع يديه وقال: **«اللهم إني أمسيت عنه راض فارض عنه»**.

قلت: من هذا؟

قالوا: هذا أخوك عبد الله ذو البجادين مات في أول الليل.

قال ابن مسعود: فوددت والله أن أكون أنا الميت[1].

---

(١) قال الهيثمي (٩/ ٣٧٢): رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد وهو متروك.

لأنه إذا رضي الله عن العبد أسعده في الدنيا والآخرة... وآنسه في ليلته الأولى في القبر.

٦ ـ كان عمر بن عبدالعزيز أميراً من أمراء الدولة الأموية يُغيِّر الثوب في اليوم أكثر من مرة.

وعنده المال والخدم والقصور، والمطاعم والمشارب وكل ما اشتهى وكل ما طلب وكل ما تمنّى.

فلما تولى الخلافة وتقلّد ملك الأمة الإِسلامية انسلخ من ذلك كله لأنه تذكر أول ليلة في القبر.

وقف على المنبر يوم الجمعة، وقد بايعته الأمة وحوله الأمراء والوزراء والشعراء والعلماء وقوّاد الجيش فقال: خذوا بيعتكم. قالوا: ما نريد إلاَّ أنت، فتولاها. فما مرَّ عليه أسبوع أو أقل إلاَّ وقد هزُل، وضعف وتغير لونه... ولم يكن عنده إلاَّ ثوب واحد.

فأراد المسلمون أن يعرفوا سبب ضعفه الذي بدا ظاهراً عليه فجأة فقالوا لزوجته: ما لعمر قد تغير؟

قالت: والله ما ينام الليل ووالله إنه ليأوي إلى فراشه فيتقلّب كأنه نائم على الجمر، ويقول: آه لقد توليت أمر أمة محمد ﷺ وسوف يسألني يوم القيامة الفقير والمسكين والطفل والأرملة.

يقول له أحد العلماء: يا أمير المؤمنين لقد رأيناك قبل أن تتولى الملك وأنت في مكة في نعمة وفي صحّة وفي عافية، فما لك قد تغيَّرت؟

فبكى حتى كادت أضلاعه أن تختلف ثم قال للعالم وهو ابن زياد: كيف يا ابن زياد لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة أيام، يوم أجرّد من الثياب، وأوسّد التراب، وأفارق الأحباب، وأترك الأصحاب؟

كيف لو رأيتني بعد ثلاث؟ والله لرأيت منظراً يسوؤك. . . فنسأل الله حسن العمل.

والله لو عاش الفتى في عمره ... ألفاً من الأعوام مالك أمره
متنعِّماً فيها بكل لذيذة ... متلذذاً فيها بسكنى قصره
لا يعتريه الهمُّ طول حياته ... كلا ولا ترد الهموم بصدره
ما كان ذلك كله في أن يفي ... فيها بأول ليلة في قبره

يقول رسول الله ﷺ: **«القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»**(١).

٧ ـ كان عثمان بن عفان الخليفة رضي الله عنه وأرضاه إذا شيّع جنازة بكى حتى يُغمى عليه فيحملونه كالجنازة إلى بيته فيقولون: ما لك؟

فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«القبر أول منازل الآخرة»**(٢)، فإذا فاز العبد فيه أفلح وسعد، وإذا خسر والعياذ بالله فإنه يخسر آخرته كلها.

والقبر إما روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيران. يقول الشاعر:

والقبر روضة من الجنان ... أو حفرة من حفر النيران
إن يكُ خيراً فالذي من بعده ... أفضل عند ربنا لعبده
وإن يك شراً فما بعد أشدّ ... ويل لعبد عن سبيل الله صد

ويقول شاعر آخر:

أتيت القبور فناديتها ... أين المعظَّم والمحتقر

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أحمد.

تفانوا جميعاً فما مخبر ... وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا ... أما لك فيما مضى معتَبَر
تروح وتغدو بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور

فهل رأيت قبراً مميزاً عن قبر؟ وهل أُنزل العظيم في قبر من ذهب أو فضة؟

والله... لقد ترك ملكه وقصوره، وجيشه، وكل ما يملك، ولبس قطعة من القماش كما نلبس وأُنزل في التراب.

ولدتك أمك يابن آدم باكياً ... والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

٨ ـ خرج رجل من الصالحين (أعرفه) من مدينة الرياض متوجهاً إلى مكة مع زوجته وكانت صائمة، قائمة، وليّة من أولياء الله الصالحين.

خرج يريد العمرة ولكنْ قبل السفر ودعت الزوجة أطفالها... وكتبت وصيتها وهي تبكي كأنه ألقي في خَلَدها أنها ستموت ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾، فتعجب الزوج من حال زوجته.

ثم ذهب واعتمر هو وإياها ثم أراد العودة إلى الرياض.

وفي الطريق جاء الأجل المحتوم إلى زوجته ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

لقد انفجر إطار السيارة... فانقلبت بهم ووقعت المرأة على رأسها وتوفيت في الحال... لكنها إن شاء الله شهيدة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

فخرج زوجها من الباب الآخر للسيارة، ووقف عندها وهي في سكرات الموت تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله... الله... الله... الله!

وتقول لزوجها: عفا الله عنك، اللقاء في الجنة... بلِّغ أهلي السلام.

ثم لفظت أنفاسها. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾. أسأل الله أن يجعل أول ليلة لهذه المرأة في القبر سروراً وحبوراً وأن يجمع تلك الأسرة في الجنة وأن يجمعنا وأحبابنا وأقاربنا في الجنة، إنه هو الحليم الرحيم.

بِنتم وبنّا فما ابتلّت جوانحنا　　　شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا
نكاد حين تناديكم ضمائرنا　　　يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
إن كان قد عزّ في الدنيا اللقاء ففي　　　مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

فيا أخي في الله... هل استعددت لأول ليلة في القبر؟

ويا شاباً صحيحاً متنعماً غرّه الشباب والمال والفراغ هل أعددت لأول ليلة في القبر؟

إنها أول الليالي في عالم الآخرة وإنها إما أول ليلة من ليالي الجنة... أو أول ليلة من ليالي النار...

أسأل الله لي ولك أخي المسلم ولكل المسلمين الرضوان والسعادة في الدنيا والآخرة، ونرجوه سبحانه أن يمن علينا برحمته ويدخلنا فسيح جناته إنه على كل شيء قدير.

زوروا القبور

الحمد لله القائل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

والصلاة والسلام على رسول الله القائل: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حُفر النار**»[(١)].

أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله، شهادة أدّخرها وإياكم إلى يوم العرض على الله وندّخرها إلى يوم فتنة الفتّان في القبور يوم ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

اللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد...

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٩١) وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٩٩٠).

أيها الناس ألا ترون أنكم تشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد ترك الأحباب وفارق الأصحاب وُسِّد التراب... غنياً عمَّا ترك... فقيراً إلى ما قدم...

انتهى أملهُ وأجله وعمله.

تبعه أهله وماله وعمله فعاد ماله وأهله وبقي معه عمله.

دُفن في التراب ففارق الأحبة والجيران وهجر الأصحاب والإِخوان.

ما كأنه خرج مع من خرج، ولا كأنه ضحك من ضحك، ولا كأنه ارتاح مع من ارتاح.

فلما وسِّد في تلك الحفرة أتى ليبحث عن عمله إما صالحاً وإما سيئاً: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

كان ﷺ أرحم ما يكون بالميت من المسلمين إذا مات.

وأشفق ما يكون بالميت من المؤمنين إذا مات.

لأن الميت أحوج الناس إلى الدعاء وأحوج الناس إلى الرحمة.

يقول عوف بن مالك رضي الله عنه: صلَّى بنا رسول الله ﷺ على جنازة رجل من الأنصار فلما صففنا خلفه تخطيت الصفوف حتى وقفت بجانبه ﷺ وهو يصلي على الجنازة فسمعته ﷺ يبكي ويقول: «**اللهم اغفر له، اللهم اعف عنه، اللهم ارحمه، اللهم أكرم نُزله ووسِّع مُدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس**»[1].

---

(١) رواه مسلم.

قال عوف: فوالله لوددت أنني أنا الميت من حسن دعائه ﷺ، ومن شفقته على أموات المسلمين.

بل كان ﷺ يذهب في الليل البهيم وفي الظلام الدامس فيقف على مقبرة أهل بقيع الغرقد في المدينة فيبكي بكاءً طويلاً ويدعو دعاءً طويلاً لأنهم أحوج ما يكونون إلى الدعاء وأحوج ما يكونون إلى الترحم لأنهم حيل بينهم وبين ما يشتهون.

كان ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾، يبكي رضي الله عنه وأرضاه حتى يُغمى عليه ثم يقول: اللهم لا تحل بيني وبين ما أشتهي.

قالوا: ماذا تشتهي؟

قال: أشتهي أن أقول لا إله إلاّ الله، فيحال بيني وبين لا إله إلاّ الله.

وأهل القبور حيل بينهم والله وبين لا إله إلاّ الله فلا يستطيعون أن يقولوها.

فهل سمعتم بميت يصلي في قبره؟

وهل سمعتم بميت يصوم في قبره؟

وهل سمعتم بميت يذكر الله في قبره؟

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ فعل بأشياعهم من المجرمين ومن المنافقين وأشباههم ومن الفاسقين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾.

يقول مطرف بن عبدالله بن الشِّخير: كنت آتي كل ليلة جمعة إلى البصرة لأصلي الجمعة في البصرة وكنت في طريقي أمر على أهل

القبور فأدعو الله لهم وأترحم عليهم إلاَّ ليلة من الليالي مررت فلم أقف لأن الجو كان بارداً، فدخلت بيتي ونمت فرأيت فيما يرى النائم كأن رجلاً من أهل القبور يقول: يا مطرف حرمتنا دعاءك الليلة، والله إن الله لينور علينا قبورنا بدعائك ودعاء إخوانك من المؤمنين أسبوعاً كاملاً.

قال: فتوضأت وذهبت ودعوت الله لهم، فلما عدت كنت أقول في طريقي: لا إله إلاَّ الله أقف بها في حشري... لا إله إلاَّ الله أقضي بها عمري... لا إله إلاَّ الله يغفر بها ربي ذنبي... لا إله إلاَّ الله أدخل بها قبري.

فسمعت كأن قائلاً يقول: تزوَّد يا مطرف من لا إله إلاَّ الله، فوالله لقد حيل بيننا وبين لا إله إلاَّ الله.

فدعاؤنا للأموات نور عليهم ورحمة تنزل عليهم.

يقول ﷺ: «**إن الله ينوِّر على أهل القبور قبورهم بصلاتي عليهم**»[1] أي بدعائي لهم.

فيا عباد الله: تأملوا وتفكروا في تلك الحفر الضيقة وفي تلك الحفر الموحشة في بيوت اللحود وفي بيوت الهوام والدود، هل لكم صبر عليها؟

يقول مجاهد رحمه الله: يقول القبر: أنا بيت الوحشة... أنا بيت الظلمة... أنا بيت الدود... أنا بيت مفارقة الأحباب ومضايفة اللحود...

فيا عباد الله: رحم الله امرءاً قدّم من الصالحات لتلك الحفرة.

ورحم الله امرءاً أعد من الحسنات لذاك القبر.

---

(١) رواه مسلم.

ورحم الله امرءاً حاسب نفسه قبل أن يوضع في مكان ضيق لا أنيس فيه إلاَّ العمل الصالح، ولا حفيظ فيه إلاَّ الله، ولا مجازي ولا محاسب إلاَّ الحي القيوم.

يقول عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لجلاّسه: أرقت البارحة (أي سهرت) فلم أنم حتى الفجر.

قالوا: ما أسهرك يا أمير المؤمنين؟

قال: لما أويت إلى فراشي ووضعت لحافي عليّ تذكرت القبر وتذكرت الميت بعد ثلاث ليال حينما يتركه أهله وأحبابه وجيرانه وإخوانه فيتغير ريحه وتتمزق أكفانه ويسري الدود على خدوده.

فليتك ترى يا فلان تلك الرائحة المنتنة بعد الطيب في الدنيا، وتلك الأكفان الممزقة بعد الثياب الجميلة في الدنيا.

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

يقول علي رضي الله عنه وأرضاه: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس ﷺ على شفير القبر وجلسنا حوله، فنكس رأسه وأخذ ينكت الأرض بمخصرة في يده، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل من لحيته ﷺ، ثم قال: «**أيها الناس والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً**»(١).

ووالله لو نعلم كما يعلم رسول الله ﷺ لضحكنا قليلاً وبكينا كثيراً، لكننا أكثرنا من الضحك وأقللنا من البكاء حتى قست قلوبنا بالمعاصي والشهوات وقست قلوبنا بالترهات، وقست قلوبنا بالبعد عن فاطر الأرض والسموات.

---

(١) متفق عليه.

والله ينادينا سبحانه وتعالى فيقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

والقبر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيران
إن يك خيراً فالذي من بعده أفضل عند ربنا لعبده
وإن يك شراً فما بعد أشد ويل لعبد عن سبيل الله صد

ويل لعبد لم يتهيأ لتلك الحفرة.

ويل لعبد لم يتهيأ لذلك القبر.

ويل لعبد لم يتهيأ بالعمل الصالح.

ويل لمن صد عن سبيل الله.

ويل لمن قاطع بيوت الله.

ويل لمن هجر كتاب الله.

مرَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه وأرضاه فرأى المقبرة فبكى ثم توضأ فصلَّى ركعتين فقال له أصحابه: لم صليت الآن ركعتين؟

قال: تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾.

ولما حضرته الوفاة قال لابنه: يا بني ألبسني أكفاني وشدّها عليّ فإني موضوع في قبري... إني إخاف إن قمت للفتان في قبري أن تسقط من على أكتافي.

فلما أتته سكرات الموت بكى وحوّل وجهه إلى الحائط وهو من أصحاب الرسول ﷺ، ومن الذين فتح الله على أيديهم الفتوح.

فهو فاتح مصر ومدوِّن دواوينها ومجنِّد أجنادها.

فلما أتاه اليقين وأتته سكرات الموت بكى بكاءً طويلاً، فقال له ابنه يُحسِّن ظنه في الله ويحسِّن رجاءه في الحي القيوم: يا أبتاه أنت من أصحاب رسول الله فلا تخف، أما فتحت مصر؟ أما جاهدت في سبيل الله؟ أما تقرَّبت إلى الله؟

فالتفت إليه أبوه وهو يقول: يا بني لقد عشت حياتي على أدوار ثلاثة:

١ ـ كنت في الجاهلية قبل الإسلام وكان أبغض الناس إليَّ رسول الله ﷺ، ووالله لو تمكنت منه لقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من حثي جهنم.

٢ ـ ثم أسلمت وأتيت رسول الله ﷺ في المدينة فلما رآني رحّب بي وهش وبش في وجهي.

فبسطت يدي لأبايعه فبسط يده، فلما بسط يده قبضت يدي فقال: ما لك يا عمرو؟

قلت: أشترط.

قال: تشترط ماذا؟

قلت: أشترط أن يغفر الله لي ذنبي.

فقال ﷺ، وهو يتبسم: أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تجبُّ ما قبلها.

فوضعت كفي في كفه ويميني في يمينه وبايعته على لا إله إلاَّ الله وأنه رسول الله.

فكنت معه إذا حلَّ حللت معه، وإذا سافر سافرت معه، وإذا أقام أقمت معه، ووالله ما كنت أستطيع أن أملأ عيني من وجهه حياءً منه.

ووالله لو سألتموني الآن أن أصفه لكم ما استطعت أن أصفه.

ووالله ما كنت أنظر إليه إجلالاً له.

فلو مت على تلك الحالة لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

٣ ـ ثم تخلفت بعده فلعبت بي الدنيا ظهراً لبطن، فوالله ما أدري هل يؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار؟ لكن عندي كلمة أحاج لنفسي بها عند الله هي (لا إله إلّا الله محمد رسول الله).

ثم قبض أصابعه على هذه الكلمة العظيمة.

قال ابنه عبدالله: فلما أتينا لنغسله فتحنا كفه فانقبض على لا إله إلاّ الله.

ولما جئنا ندخله في كفنه فتحنا يده فانقبضت على لا إله إلاّ الله.

فدخل في القبر بلا إله إلاّ الله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

أبني أبينا نحن أهل منازل ... أبداً غراب البَيْن فيها ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى ... كنزوا الكنوز فلا بقينا ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا ... أن الكلام لهم حلال مطلق

يقول ابن عوف رضي الله عنه: خرجت مع عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فلما وقفنا على مقبرة أهل بقيع الغرقد اختلس يده من يدي وكنت قابضاً على يده ثم وضع نفسه على قبر وبكى بكاءً طويلاً، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟

قال: يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني كنت شجرة فأعضد... أنسيت يا ابن عوف هذه الحفرة؟

قال: فأبكاني والله.

فالله المستعان على ذاك المقام وعليه التكلان، ونسأله أن يثبتنا وإياكم يوم يثبت أهل طاعته فلا يُخذلون.

ويوم يثبت أهل البر من عباده فلا يزلُّون.

ويوم يلهمهم رشدهم عند سؤال الفتّان في القبور فينطقون بلا إله إلاّ الله.

أما الأموات فواجبهم علينا الزيارة والترحم والدعاء لهم، لأن الله سبحانه وتعالى ينوِّر عليهم قبورهم بدعائنا لهم، فما أحوجهم إلى دعائنا، ولكن نحن لا نحتاج إلى أحد منهم فإنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

والزيارة الشرعية أن يزور الرجل المسلم - لا المرأة - القبور ليتذكر الوقوف بين يدي الله ويتذكر العرض على الله ويزهد فيما سوى الله ويقلل متاعه من هذه الدنيا التي تشغله عن الله.

ولذلك ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**زوروا القبور فإنها تذكر بالآخرة**»[1]. فالمقصود من زيارة القبور هو التذكير بالآخرة لا التوسل بأصحاب القبور كما يفعله الوثنيون المبتدعون المشركون في بعض البلاد الإسلامية، فإنهم يذهبون إلى تلك القبور وقد يكون أهلها من الصالحين فيتوسّلون بهم إلى الله ويتبركون بتلك القبور.

ومن يفعل هذا الفعل فهو من الذين قد حبط عملهم في الدنيا والآخرة إن لم يتوبوا إلى الله ويراجعوا حسابهم مع الله.

وإذا سألتهم: لماذا تفعلون هذه الأفاعيل الشركية والوثنية والأمور الجاهلية؟

---

(١) رواه مسلم.

قالوا: نحن لا نعبدهم وإنما نتبرَّك بهم ونتوسَّل بهم إلى الله.

وهذا منطق أهل الجهل وأهل الشرك وأهل الوثنية، فإن الله يقول عنهم أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

ولذلك يقول ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد**»(١) ومعنى وثناً يعبد: أي يُتوسَّل به ويُتبرك به ويُعتقد أنه ينفع أو يضر بعد موته.

هذا وهو رسول الله ﷺ، فكيف بغيره الذي ما بلغ مرتبته؟

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

فالذين يتوسَّلون بالقبور في أي بلد وفي أي مكان وفي أي زمان ويتبركون بالدعاء عندهم ويعتقدون نفع الأموات أو ضرّهم، هؤلاء مُتَبَّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

يقول ﷺ وهو في سكرات الموت وهو يُصارع الموت في آخر لحظة من لحظات الدنيا: «**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات**»، ثم يقول: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٢) يحذر منهم ﷺ ومن فعلهم.

ولقد وقع ما فعل أولئك الأمم من اليهود والنصارى في أمة محمد ﷺ، ففي كثير من البلاد الإسلامية اليوم تجد الجهلة يشركون بالله بتقربهم إلى القبور وبتأثرهم بأصحاب القبور، فوقعوا في الغلو الذي وقع فيه من كان قبلهم، وكل هذا تحت سمع وبصر علمائهم هداهم الله.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ

---

(١) رواه مالك (١/ ١٧٢) بسند صحيح.

(٢) متفق عليه.

ﭐلنَّصَٰرَى ﭐلْمَسِيحُ ﭐبْنُ ﭐللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ﭐلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ﭐللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

فقاتل الله كل من اتخذ من دون الله إلهاً أو توسَّل بغيره سبحانه في جلب نفع أو دفع ضر.

يقول ابن تيمية رحمه الله ما معناه: إن الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط هدى وتبليغ للرسالات عن الله إلينا ولا نتوسط بهم في العبادات بيننا وبين الله.

فمن توسَّل بأحد أو تشفَّع به وهو ميت في قبره أو تبرَّك بالدعاء عند قبره فقد خسر عمله.

فالزيارة الشرعية أن نزور القبور لتذكرنا الآخرة وأن ندعو لأهل القبور بالرحمة كما دعا لهم ﷺ.

ومن أدب الزيارة أن لا نجلس على القبر فإنه منع ﷺ من الجلوس عليه، كما صح في صحيح مسلم قوله ﷺ: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**».

ويقول ﷺ في صحيح مسلم: «**لأن أجلس على جمر فتحترق ثيابي فتنفذ إلى جسمي خير لي من أن أجلس على قبر**».

ومن آداب الزيارة ألا يصلي على القبور إذا زارها الزائر ـ أي صلاة الفريضة ـ، أما صلاة الجنازة فجائزة إلى شهر من دفنه إذا لم يصلِّ عليه.

ومن الآداب عدم المرور على القبور والمشي عليها.

وكذلك واجب إزالة القبور المرتفعة وهدمها لما في صحيح مسلم أن علياً قال: أرسلني رسول الله ﷺ أن لا أدع قبراً مشرفاً إلاَّ سويته. أي سويته بالأرض، بل يُرفع مقدار شبر فقط على الأرض ليعرف أنه قبر فلا يمتهن، وهذا هو السنة.

أسأل الله أن يجعلنا ممن يستعد لتلك القبور الموحشة بالعمل الصالح النافع.

وأن يجعلنا مقيمين لسنته ﷺ في حياتنا وبعد مماتنا عندما تكون قبورنا على طريقة أهل السنة لا البدعة. والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

أحكام الموت وما بعده

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

أيها الفضلاء الأخيار، عنوان هذه الأوراق أحكام الموت وما بعده.

أيها الكرام: الموت مخلوق من مخلوقات الله عزَّ وجل قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

ولقد وصل العلم إلى الذروة ولم يستطع أن يكتشف حقيقة الموت، ولا يدرون ما هو؟ ولا كيف يموت الإنسان ومتى يموت؟ وذلك لأن الله اختصه بعلمه سبحانه وتعالى.

والموت توعَّد الله به أعداءه فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: فضح الموت الدنيا فلم يدع لذي لُبٍّ فرحاً.

والمعنى أن كل من انبسط وارتاح وسُرّ بما عنده من مال وولد وما عنده من منصب ووظيفة إذا ذُكر الموت تكدَّر.

دخل أحد الفضلاء إلى خليفة من الخلفاء العباسيين فقال الخليفة: أما ترى القصر؟

قال: رأيته.

قال: أما تراني؟

قال: رأيتك.

قال: أرأيت جيشي؟

قال: رأيته.

قال: ماذا تقول؟

قال:

أنت نِعم الخليل لو كنت تبقىٰ ... غير أن لا بقاء للإنسان

ولقد لام عزَّ وجل الذين غُروا بمتاعهم ولعبهم فقال: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

قال عدي بن زيد ـ وهو شاعر جاهلي ـ وقد خرج مع النعمان بن المنذر قبل الإسلام، وكان عدي بن زيد هذا عاقلاً وقد أقسم أن لا يشرب الخمر أبداً وهو في الجاهلية، فلما جلس مع السلطان الملك النعمان أخذ السلطان يشرب الخمر، فقال له عدي بن زيد: أبيت اللعن ـ وهذه كلمة تقال للملوك بمعنىٰ أستأذنك في الكلام ولا تغضب عليَّ ـ، قال: قل.

قال: أتدري ماذا تقول هذه الشجرة التي بجانب الملك؟ وهي لا تتكلم، ولكن أراد هذا الشاعر أن يدخل بموعظة إلى السلطان. قال: لا أدري ماذا تقول؟

قال: تقول الشجرة:

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا حولنا   يخلطون العذب بالماء الزلال
قد مضوا حيناً وساروا زمناً   ثم صاروا جثثاً تحت الرمال

يقول: ألا تعتبر بأجدادك أصبحوا جثثاً وأنت تشرب الخمر، ألا تتفكر وتتأمل؟

أيها الإخوة في الله: موضوع الموت وما بعد الموت والاستعداد للموت هو حديث الساعة. ذلك لأن الناس في هلع ورعب من الموت.

قال الله سبحانه وتعالى وقد أخبر رسوله ﷺ بالموت: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وكتبه الله على الكائنات فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

والخلد حرام، لا يخلد من البشر أحد، وهو قول واحد بإجماع العقلاء من الناس قاطبة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

ولذلك فإن أعظم زاد يجب أن نتقدم به إلى الله تعالى هو زاد الإيمان، والبشرية الآن تبحث عن الإيمان، فالإلحاد الآن أصبح لا حقيقة له، أصبح كذباً، أصبح لعنة، أصبح لا قرار له، حتى رؤساء الإلحاد والشيوعية في العالم تبرؤوا من الإلحاد.

قال جوربتشوف رئيس الشيوعيين في العالم ورئيس الاتحاد السوفيتي السابق في البروستريكا: إن الإلحاد خُرافة، ولذلك اعتنق هو

النصرانية وأثبت بعد الصفحة الخمسين من البروسترويكا ـ يعني: إعادة البناء ـ أنه مسيحي لأنه وجد أنها كذب.

أما بالنسبة لأحكام الموت وما بعده فقد فصّلها أهل السنة والجماعة في كتبهم، ونحن في حاجة إلى فقه الأحكام وما يقربنا إلى الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، ومعنى الآية عند كثير من المفسرين: من رخاء إلى شدة، ومن نعيم إلى بؤس، ومن حياة إلى موت، فالله يداول الأيام.

السؤال الأول: يقول ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**»، فما هو هاذم اللذات؟ وكيف تذكره؟ وما الفائدة من ذكره؟

والجواب: روى الترمذي والنسائي وابن حبان عن النبي ﷺ أنه قال: «**أكثروا ذكر هاذم اللّذات**»، والحديث من رواية أبي هريرة (فما ذُكر في قليل إلّا كثَّره). وهاذم اللّذات: «بالذال» هو الموت، وهو الذي يهدم اللذة على العبد ويعكرها ويقطعها. واللذة كل ما تلذذ به من مال أو حسب أو نسب أو جاه أو منصب.

فقوله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذَّات**» أي الموت، وزاد بعض الناس لكن لا تصح هذه الرواية: «أكثروا من ذكر هاذم اللذَّات ومفرق الجماعات وآخذ البنين والبنات». والجملتان الأخريان ليستا من كلامه ﷺ.

وأما قوله: فما ذُكر في قليل إلاَّ كثَّره، وذلك أن من يتذكر الموت دائماً يُصبح القليل عنده كثيراً.

قال: «**وما ذُكر في كثير إلّا قلّله**»، أي أن الكثير عند أهل الأموال الكثيرة تقل في عيونهم أموالهم يوم يذكرون الموت.

دخل أبو العتاهية على هارون الرشيد وكان هارون الرشيد في قصره والشعراء يهنئونه بقصرٍ افتتحه. فقال لأبي العتاهية: كيف رأيت القصر؟

قال: اسمع مني أبياتاً.

قال: ما هي؟

قال:

عش ما بدا لك سالماً في ظلِّ شاهقة القصور

قال: هيه - يعني زد -.

قال:

يُجرى عليك بما أردت مع الغدو مع البكور

قال: زد.

قال:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت إلاَّ في غُرور

هذا غرور أهل الدنيا وهو غرور يشبه غرور البهائم يوم يصدفون عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني: هل يجوز للمسلم أن يتمنى الموت؟ ومتى يجوز له أن يتمناه؟

والجواب: لقد نهى ﷺ المسلم أن يتمنى الموت، هذا من حيث الأصل وهو أصل متفق عليه.

ففي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال من حديث أنس: «**لا يتمنينَّ أحدكم الموتَ لضرٍّ نزل به فإن كان مُحسناً فلعله يزداد إحساناً وإن كان مسيئاً فلعله أن يتوب**».

فالأصل أن لا يتمنى الموت.

واعلم أن عُمر المؤمن لا يزيده إلاَّ خيراً عند الله لحديث جابر عند مسلم: «**المسلم لا يزيد عُمرهُ إلَّا خيراً**».

فالشاهد من ذلك أنه إذا أصابك ضُرّ أو مرض فلا تتمنَّ على الله الموت.

وهناك مسألة ذكرها أهل السنة كصاحب الطحاوية وابن كثير والذهبي أن عمر ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ لما حج في آخر حجة حجَّها رفع يديه عند الجمرات وقال: اللهم إنها ضاعت رعيتي ورقَّ عظمي ودنا أجلي فاقبضني إليك غير مُفرِّط ولا مفتون، اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتة في بلد رسولك.

والسؤال: لماذا تمنى عمر الموت؟ والرسول ﷺ لم يتمناه.

والجواب عند أهل السنة بجوابين:

الجواب الأول: لم يتمنّ عمر الموت ولم يحدِّد وقته، وإنما تمنى الشهادة في سبيل الله، وتمني الشهادة مطلوب وهي من أفضل الأعمال، وقد قال ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدقٍ بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» رواه مسلم. بينما تجد الرياء والسمعة إذا دخلا في العمل لا ينفعِ صاحبه حتى إذا قتل في الجبهة وهو مراءٍ لا ينفع، بينما إذا صَدَقَ وقُتل على فراشه فهو شهيد.

وعند أحمد في المسند بسند حسن: «**ربَّ قتيل بين الصفين الله أعلم به**»، وفي لفظ: «**الله أعلم بنيته**»، فقد يكون مرائياً. وصحَّ عنه ﷺ: أن أول من تُسعَّر بهم النار ثلاثة، منهم المجاهد الشهيد فيما يظهر للناس الذي قُتل في المعركة، قتل رياءً وسمعة ليُقال شجاع وقد قيل فيقال: خذوه إلى النار[1].

والجواب الثاني: أن الإِنسان إذا تحقق أنه وقع في فتنة وأن الناس قد فُتنوا فله أن يطلب من الله أن يتوفاه، وقد دل على ذلك

(١) رواه مسلم.

نصوص كإخباره ﷺ: «**أن المؤمن في آخر الزمان من كثرة الفتنة يمرّ على القبور ويقول: يا ليتني مكان صاحب هذا القبر**»[1].

السؤال الثالث: ما معنى المؤمن يموت بعرق الجبين؟ وهل عرق الجبين علامة عند أهل السنة أم لا؟

الجواب: صح عنه ﷺ عند ابن حبان وأبي داود والنسائي والترمذي أنه قال: «**المؤمن يموت بعرق الجبين**». فما معنى الحديث؟

قيل: المؤمن يموت بعرق الجبين يعني: إذا حضرته سكرات الموت أصابه عرق وأتاه رشحٌ.

وقيل: يموت بعرق الجبين: أي أنه يموت كَدّاً وكدحاً في العمل الصالح وهي كناية عن اجتهاده في العمل الصالح وعن بذله وعن تقواه لله، عزَّ وجل، حتى يلقى الله عزَّ وجل وقد بلغ من نفسه مَبْلغاً في العبادة والمجاهدة، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ ولكن من الذي يجاهد في الله؟ هو الذي يَصْدق مع الله عزَّ وجل ويفعل المأمور ويجتنب المحذور أو يتبع القرآن والسنة.

باختصار.. هذا معنى المؤمن يموت بعرق الجبين، وبعض العلماء يقولون: من علامة المؤمن أنه قد يبتسم في سكرات الموت ويعرق جبينه ويأتيه مبشرات، وقد حدث هذا لابن المبارك فيما نُقل عنه أن تبسّم وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

وقد تُرى له رؤيا حسنة في الحياة الدنيا، فهي من المبشِّرات يراها المؤمن أو تُرى له كما قال ﷺ.

السؤال الرابع: ماذا يلزم من حضر المحتَضَر الذي حضرته الوفاة؟

الجواب: أن يلقنه لا إله إلّا الله محمد رسول الله كلمة التوحيد،

---

(١) متفق عليه.

لا إله إلّا الله ندخل بها في الدين، ولا إله إلّا الله نختم بها حياتنا، لا إله إلّا الله قامت من أجلها السموات والأرض.

لا إله إلاَّ الله نزلت من أجلها الكتب وأرسلت من أجلها الرسل، لا إله إلاَّ الله أقيمت من أجلها النار والجنة، ونُصب الصراط ونزلت الصحف ونصب الميزان، لا إله إلاَّ الله وثيقة أرسل بها الرسل عليهم الصلاة والسلام من لَدُن نوح إلى محمد ﷺ.

لا إله إلاَّ الله جرت من أجلها بدر وأحد وحطين والقادسية وعين جالوت ومعارك الإسلام، لا إله إلاَّ الله فَيصل بين أهل التوحيد وأهل الكفر، وهي الميثاق الذي أخذه الله عزَّ وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

فعليك إذا حضرت مُحتَضراً أن تُلقنه لا إله إلاَّ الله، إما شهيد في المعركة أو مريض أو مصاب بحادث، ورأيت أنه في الرمق الأخير فالله الله أن تجري هذه اللفظة على لسانه فهي من أكبر الحسنات.

قال أبو ذر للرسول ﷺ: يا رسول الله لا إله إلاَّ الله من الحسنات؟ قال: «**أعظم الحسنات، هل بعد لا إله إلّا الله حسنة، هي أعظم الحسنات**».

وقال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم في الصحيح وهو عند الأربعة: «**لقنوا موتاكم لا إله إلّا الله**» من حديث أبي سعيد وأبي هريرة. ومعنى لقنوا: أي قولوا: لا إله إلّا الله، فإذا قالها فلا تعدها عليه.

يذكر الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ قصة عن أبي زُرعة الحافظ الكبير وهو من أئمة الجرح والتعديل، يقولون عنه أنه كتب بيده ألف ألف حديث، وقد حضرته الوفاة فأراد تلاميذه أن يُلقنوه لا إله إلاَّ الله

ولكنهم استحيوا منه فهو عالم الدنيا ومُحدِّث المعمورة، واستحيوا أن يقولوا قل: لا إله إلاَّ الله.

ولا حياء في هذا، فأرادوا أن يذكروه بسند الحديث وقد أغمي عليه، فأرادوا فقط أن يقول حدثنا فلان لأنه يعرف بضاعته، فإذا قالوا حدثنا فلان حدثنا فلان تذكر بالسند المتن فقال: لا إله إلاَّ الله، فتلعثموا وكأنهم ما يدرون ما هو السند أهو شعبة أو الأعمش سليمان بن مهران، فأفاق وسمعهم يتضاربون بالكلام بينهم في الحديث فقال: حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلّا الله**»، وحدثنا فلان عن فلان عن معاذ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلّا الله دخل الجنة**»، لا إله إلّا الله محمد رسول الله ثم مات!

وهذه من علامات الحسنى والثبات ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

هذا هو التلقين الذي يجب على المسلم أن يُلقن العبد فيه، وأهل السنة يقولون: يدخل العبد في الإسلام بلا إله إلاَّ الله.

السؤال الخامس: هل يصح في قراءة سورة (يس) على الميت حديث أم لا؟

والجواب: أن الصحيح عند أهل السنة من المحدثين أنه لا يثبت فيها حديث وليس من السنة أن يقرأ على الميت سورة (يس) لما رواه أبو داود والنسائي وابن حبان عنه ﷺ قال: «**اقرؤوا على موتاكم يس**» وهذا حديث معقل بن يسار وهو حديث لا يصح.

قال الدارقطني: حديث مضطرب لا يثبت، وفي سنده أبو عثمان وليس بالنهدي ولا نعرفه، واختلف سنده على كثير من الحفاظ وردوه،

والسنن والعقائد لا تثبت بمثل هذا الحديث الضعيف الذي ضعَّفه العلماء ولم يُثبتوه، والمسلم يقف عند المأثور، ولا يبتدع في دين الله، «**ومن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١)، «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(٢) رحم الله امرءاً وقف مع الأثر ومع الكتاب والسنّة.

إذاً لا يُقرأ على المحتضَر سورة (يس).

السؤال السادس: هل التسجية قبل التكفين أصل وارد؟ يعني تسجية الميت بثوب أو ببُرد أو بشيء، هل يرِد في ذلك شيء؟

الجواب: نعم، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أن الرسول ﷺ لما توفي سُجِّي ببُرد حَبِرة من برود اليمن، قبل أن يكفن ﷺ ويُغسل سُجي ببردٍ حبرة.

وهذا من السنة ليكون الميت مستوراً حتى يعمل تجهيزه في الغسل والتكفين والصلاة عليه، فالمقصد من هذا أن يستر الميت. وهي سنته ﷺ.

الثامن: ورد عنه ﷺ من حديث أبي هريرة عند أحمد والترمذي بسند حسن أنه قال: «**نفس المؤمن مُعلَّقة بدَيْنه حتى يُقضى عنه**». فعلى العبد أن يجتهد أن يقضي دَينه، لأن حقوق العباد مبنية على المشاحة، والحق الذي بينك وبين الله مبني على المسامحة، فعليك أن تجتهد في أن تقضي دَينك وأن ترد حقوق الناس قبل أن تلقى الله عزَّ وجل.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**يغفر للشهيد إلَّا الدَّين**»(٣)، يعني شهيد المعركة إذا قتل في سبيل الله غفر الله له ذنبه إلَّا الدَّين، قال: «**أخبرني بذلك جبريل**».

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

(٣) رواه مسلم.

فعلى العبد أن يكتب وصيته فإذا لقي الله عزَّ وجل كان عند ورثته خبر ونبأ ووصية مكتوبة بهذا، وكان عندهم علم لما صح عنه ﷺ أنه قال: «**ما حق امرىء مسلم يبيت ثلاث ليال إلَّا ووصيته مكتوبة عند رأسه**»[١]، فكان ابن عمر يكتب وصيته ويراجعها عند رأسه ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

السؤال التاسع: ما هي صفة الماء الذي يُغسل به الميت؟

الجواب: ورد عنه ﷺ أنه قال في الرجل الذي وقَصَته ناقته وهو محرم في عرفات قال: «**اغسلوه بماء وسِدر، وكفِّنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه**»[٢]، وفي لفظ: «**وجهه**».

قوله: «**واغسلوه بماء وسدر**» لأن الماء والسدر أنقى، وكفِّنوه في ثوبيه يعني: في ثوب الإِحرام حتى يُبعث يوم القيامة ملبياً، وقد ورد في ذلك خبر يعني يخرج من قبره يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك... ولذلك لم يغطَّ رأسه لأنه محرِم والمحرم لا يُغطى رأسه على الصحيح، وفي تغطية وجه المحرم خلاف.

إذا عُلم هذا فالمقصود أنه لا بأس أن يمزج الماء الذي يُغسَّل به الميت بسدر أو كافور كما في حديث زينب أو صابون لا بأس في ذلك، لأن المقصود الإِنقاء وهذا الشيء الطاهر الذي يضاف إلى الماء لا يُنجّسه.

السؤال العاشر: كيف غُسِّل الرسول ﷺ؟

الجواب: روى الإِمام أحمد وأبو داود عن عائشة: «**أن رسول الله ﷺ لما مات أتى علي بن أبي طالب والعباس والفضل**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وأسامة يغسلون رسول الله ﷺ وكان في ثيابه المطهرة ﷺ، فلا يدرون هل ينزعون ثيابه ويباشرون جسمه الطاهر الطيِّب ـ بأبي هو وأمي ـ أم يُغسّلونه من فوق الثياب؟ فاختلفوا»، وفي رواية أبي داود: «**فألقى الله عليهم النُّعاس فناموا الأربعة في الغرفة فسمعوا هاتفاً يقول: اتركوا ثياب رسول الله ﷺ عليه واغسلوه من فوق الثياب**»، فغسلوه بالماء ودلكوه والثياب عليه ﷺ وما نزعوا ثيابه.

فهذه صفة غسله ﷺ، غسل من على ثيابه ودُلك ﷺ، فهو الطيب المُطيَّب، حيّاً وميتاً، ولذلك أتاه أبو بكر قال: يا رسول الله ما أطيبك حيّاً وميتاً.

السؤال الحادي عشر: هل يجوز للقريب والصاحب تقبيل الميت؟

الجواب: نعم. وقد أتى أبو بكر والرسول ﷺ مسجّى قد مات فكشف الغطاء عن وجهه وبكى وقال: ما أطيبك حيّاً وما أطيبك ميتاً.

وحديث غسل زينب السابق روته أم عطية في الصحيحين أن زينب بنت رسول الله ﷺ لما توفيت أتى الرسول فوقف على النساء في الباب وقال لأم عطية: «**اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً إن رأيتن ذلك**»، وفي لفظ: «**تسعة**»، وبعض الحفاظ لا يُثبتها، «**واجعلن آخره كافوراً أو شيئاً من الكافور وإذا غسلتموها فآذنّني**» أو كما قال ﷺ، فلما انتهوا من غسلها أخبروا رسول الهدى ﷺ فأعطاهن حقوه. والحقو إزاره الذي يلي جسده ﷺ، وأمر أن يُجعل شعاراً لها.

وفي هذا الحديث قضايا: منها أن المرأة تغسل المرأة ولو كانت أجنبية، ومنها أن السنة في الغسل ثلاث أو خمس أو سبع على الوتر، وهو سنة رسول الهدى ﷺ في ذلك.

ومنها أنه لا بأس أن يخلط الماء بشيء من كافور أو من الطيب حتى تكون رائحة الميت طيبة.

ومنها التبرك بآثار الصالحين، وهذا له خاصة ﷺ ليس لأحد غيره فيما نعلم، وهو أصل عند أهل السنة ولو أن البعض تجوَّز، لكن آثاره ﷺ فقط ثيابه وشعره وأظفاره هي التي فيها البركة ﷺ وليست لغيره.

السؤال الثاني عشر: ما هي صفة الكفن؟

والجواب: ورد في الصحيحين من حديث عائشة أن الرسول ﷺ كُفّن في ثلاثة ثياب بيض سحولية ـ سحولية نسبة لسحول قرية باليمن ـ بيض من كُرسف ـ يعني: من قطن ـ كفن فيها رسول الهدى ﷺ، فثلاث قطع بيض تلف على الميت. هذه صفة الكفن ومن كُفن في قميصه فوارد عند أهل السنة، وجائز أن يكفن في ثوبه إذا كان ثوبه نظيفاً جميلًا طيباً، والسنة أن يكون أبيض.

السؤال الثالث عشر: هل يجوز التكفين في القميص؟

الجواب: أتى عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لما مات أبوه المنافق عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين والحاسدين الناقمين على الإسلام فقال: يا رسول الله أعطني قميصك حتى أكفن أبي فيه وهو عدو للإسلام، لكن الرسول ﷺ تقديراً لابنه المسلم المؤمن أعطاه قميصه، فأتى فكُفن هذا المنافق فيه وجعله جزاءً لابنه وإكراماً لابنه فجعله كفناً لأبيه.

وقد استدل به البخاري وأمثاله على أن القميص لا بأس به أن يكون كفناً، وحمل هذا المجرم إلى القبر وقام ﷺ يصلي عليه فأتى عمر أمامه قال: يا رسول الله تصلي على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، قال: «**دعني يا عمر**»، قال: يا رسول الله كيف تصلي عليه؟ أما فعل كذا، أما فعل كذا، أما فعل كذا؟ كيف تصلي عليه وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

قال ﷺ: «**دعني يا عمر والذي نفسي بيده لو أعلم أن الله يغفر لهم بعد السبعين لاستغفرت له بعد السبعين**»، فلما صلَّى أتى العتاب من الله عزَّ وجل إليه ﷺ وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾، فجعلها ﷺ خاتمة عمله في هذه المسألة.

والشاهد في هذا أيها الإخوة التكفين في القميص.

كان ابن المبارك رضي الله عنه وأرضاه المحدث الزاهد العابد، له ثوب يصلي فيه دائماً صلاة الليل فلما حضرته الوفاة قال: كفنوني في ثوبي هذا، فإني قد صليت فيه لله كثيراً وكنت أقوم فيه الليل.

وابن القيم له كلام في مدارج السالكين يقول: إن آثار الصالحين لها أثر على الصالحين كثياب الصالحين وعمائم الصالحين وأحذية الصالحين. قال: حتى ترى وسام الصلاح عليها، وكذلك الفسقة تعرف ثيابهم وتعرف عمائمهم مما عليها من الفجور والفسق، وهذا أمر يعلمه أهل التقوى وأهل الفراسة الإيمانية.

السؤال الرابع عشر: هل هناك سنة في لون الكفن؟

والجواب: روى ابن عباس عند الخمسة إلَّا النسائي أن الرسول ﷺ قال: «**البسوا البياض فإنها خير ثيابكم أو من أطيب ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم**».

فالبياض لون جميل وهو أحسن ما يلبسه العبد المؤمن، والبياض مذكور في كثير من الأحاديث، يقول ﷺ في دعاء الاستفتاح: «**ونقني من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس**»(١).

قال عمر رضي الله عنه كما ذكر مالك في الموطأ في آخر الباب: يعجبني أن يكون ثوب القارىء أبيض.

---

(١) متفق عليه.

فقوله ﷺ: «**البسوا البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم**»، دليل على أن السنة في الكفن أن يكون أبيض، وذلك من باب التفاؤل أن الله يُبيض هذا الميت، وأن يكون مُنقَّى هذا الثوب كهذا الكفن من الأوزار ومن الأوساخ والأدران، والله المستعان.

يقول أحدهم:

خذ القناعة من دنياك وارض بها   لو لم يكن لك إلاَّ راحة البدنِ
وانظر لمن ملك الدنيا وجمعها   هل راح منها بغير الطيب والكفن

أو كما قيل.

ولذلك ما ذهب أحد من الناس من القرون الأولى ولا الأخيرة إلاَّ بالطيب والكفن، وهذه عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

يقولون: لما حضرت أبا بكر الوفاة - رضي الله عنه وأرضاه - أتوا بثياب جديدة، قال: ما هذه الثياب؟ وهو في سكرات الموت، قالوا: نكفنك فيها، قال: لا، الحيُّ أولى بالجديد من الميت، وأنا ميِّت، إذا مت فاغسلوا ثوبي هذا - ثوباً قديماً كان يصلي فيه ويجاهد فيه ويتصدق فيه ويقرأ القرآن فيه ويسبِّح فيه - وكفنوني فيه. فلما حضرته الوفاة قال: اذهبوا بثوبي الآخر إلى عمر وبالبغلة وبهذا الجمل وقولوا: يا عمر اتق الله لا يصرعنّك الله مصرعاً كمصرعي، فلما ذهبوا بهذا إلى عمر بكى وجلس وقال: أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر.

السؤال الخامس عشر: هل ورد في إحسان الكفن حديث؟

الجواب: نعم. روى مسلم عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا وَلي أحدكم أخاهُ فليحسِّن كفنه؛ فإنهم يبعثون**

في أكفانهم، ويتزاورون في أكفانهم». يعني: إذا تولّيت أنت كفن المؤمن من قريب أو حبيب أو صديق، فأحسن كفنه، يعني حُسناً لا يدخل في المغالاة، لأن المغالاة سوف يأتي نهي عنها فلا ينفع الميت إلّا عمله، تسبيحه... ذكره... صلواته... والله لو نسجت له كفناً من ذهب، والله لو ألبسته تاجاً في القبر، والله لو صنعت له كساءً من فضة لا ينفعه إلّا أن يكون من أولياء الله، وإذا كان من أولياء الله فلو كان في خيشه، أو لو مات من غير كفن، فإن عمله الصالح هو الذي ينفعه فقط. وإحسان الكفن أن تختار ثياباً جميلة نسبياً بيضاء طيبة نقية، هذا هو الإِحسان.

أما المغالاة في الكفن فقد نهى عنها ﷺ في حديث صحيح فقال: **«لا تغالوا في الكفن فإنه يُسلب سريعاً»**(١)، يعني يُسلب يصبح هباءً منثوراً تأكله الدود ثلاثة أيام.

كان عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد الراشد الذي جدَّد أمر الأمة في المائة سنة الأولى، تولى الخلافة وعمره **٣٩** سنة وقاد الأمة بالزهد، ما كان عنده إلّا ثوب واحد. كان يوم الجمعة، خليفة يملك اثنتين وعشرين دولة إلى حدود إسبانيا وسَيْحون وجَيحون والسند والهند، يملكها كلها ومع ذلك ما عنده إلّا ثوب يغسله يوم الجمعة ويبقى في فراشه حتى يجف الثوب ثم يصلي فيه، يقول له الناس: ألا تتزين وتتجمل؟

قال: كيف لو رأيتموني بعد ثلاث ليالٍ في القبر إذا تولى عني الأحباب والأصحاب وأكلني التراب.

فقوله ﷺ: **«لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سريعاً»**، معنى ذلك لا تهتموا به غالياً فإنه ثلاثة أيام وينتهي وما يبقى إلّا العمل الصالح:

---

(١) رواه أبو داود (٣١٥٤)، وضعفه الألباني في المشكاة (١٦٣٩).

يا عامراً لخراب الدار مجتهداً — بالله هل لخراب الدار عمران
ويا حريصاً على الأموال تجمعها — أكْثر فإن سرور المال أحزان
يا مُتعب الجسم كم تسعى لراحته — أتعبت جسمك فيما فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها — فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

السؤال السادس عشر: الجمع بين ميتين فأكثر، هل يجوز أن تجمع بين ميتين في قبر أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو أكثر؟

وهل إذا أتت حروب مُدْلَهِمَّة أو موت كاسح في الناس، هل يجمع بين اثنين أو أكثر؟

الجواب: السنَّة في ذلك أن يدفن كل ميت وحده، لكن إذا احتاجوا إلى ذلك من كثرة القتلى أو كثرة الأموات فالجائز والوارد أن يُدفن اثنان أو أكثر في قبر واحد. روى جابر في البخاري عن رسول الله ﷺ أنه جمع قتلى أحد الاثنين والثلاثة في قبر، يقدِّم الأكثر أخذاً للقرآن يقول أيهم أكثر حفظاً للقرآن؟

وكان عند الرسول ﷺ صاحب القرآن سيداً من السادات، يقول أنس: كان الرجل إذا حفظ سورة البقرة وآل عمران جدَّ فينا، يعني نبل وفضل وأصبح سيداً.

أتى كوكبة من الصحابة يريدون غزوة، فقال رسول الله ﷺ: «**أفيكم أحد يحفظ سورة البقرة**»؟ قال أحدهم: أنا يا رسول الله، قال: «**اذهب فأنت أميرهم**»[(١)]. فشاهدنا هنا أنه يجوز الجمع بين الثلاثة والأربعة. ويستحب عند أهل العلم أن يكون الأحباب في الدنيا مجموعاً بينهم في القبر، يعني المتوافقين والزملاء والأحبة والجيران المتآخين أن يكونوا في قبر واحد، ولا يُجمع بين غير المحارم كما لا

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٣) وضعفه الألباني في المشكاة (١٢٤٣).

يجمع بين الأجنبية والأجنبي، لا لم يرد في ذلك حديث والأصل المنع من ذلك.

السؤال السابع عشر: قد مرَّ معنا وهو المغالاة في الكفن ونهيه عنه ﷺ في ذلك من حديث علي عند أبي داود.

السؤال الثامن عشر: هل لأحد الزوجين أن يُغسِّل الآخر؟

الجواب: الزوج له أن يُغسِّل زوجته والزوجة تغسل زوجها. فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها في مسند الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان أن الرسول ﷺ قال لها قبل أن يموت بأيام: «**لو مُتِّ قبلي لغسلتُك**»، يقول ﷺ وقد زار بقيع الغرقد الأموات فسلّم عليهم في ظلام الليل ثم عاد وهو معصوب الرأس من الصُداع وقال: وارأساه، بل في الصحيح أن عائشة قالت: وارأساه، قال ﷺ: «**بل أنا وارأساه**» وهذا على سبيل المداعبة. قالت: لو متُّ أنا أظنك أنك تتزوج بعدي ـ انظر لغيرة المرأة حتى بعد الموت ـ قال ﷺ: «**بل أنت لو متِّ لغسَّلتك**»، يعني ترك المزح ﷺ، يعني كأنه يتخيل أنه قريب الميعاد من لقاء الله عزَّ وجل ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾.

أخذ من هذا أهل العلم أن الرجل يجوز له أن يغسل زوجته.

السؤال التاسع عشر: هل لنا أن نُصلي على من مات في حدٍّ؟ يعني رجل ارتكب كبيرة من الكبائر، يعني مسلم زنا فحُدَّ وهو مُحصَن فرُجم بالحجارة حتى مات هل نصلي عليه؟ قاتلُ نفسٍ، قتلَ نفساً ثم قُتل هل نصلي عليه؟ أم لا.

الجواب: روى بريدة بن الحصيب في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ صلّى على الغامدية التي رُجمت من الزنا، فما أرحمه وما أحسنه وما أحسن هذا الدين، نحن أهل السنة والجماعة لا نكفر

بالكبائر، وأهل الكبائر الذين لم يستحلوها لا زالوا مسلمين لكنهم فسَقة. يقول الحافظ الحكمي: لكنهم عصاة قد يدخلون النار بلا تخليد، وأن من كفَّر بالكبائر مثل الخوارج عليهم غضب من الله وهم مخالفون مبتدعة.

فالمقصود من هذا أن من ارتكب حدّاً وأقيم عليه حدٌّ فإنه يُصلى عليه ولا زال مسلماً كالمحدود من الزنا، وإذا تاب وعُلمت توبته وندم وأتى يطلب الحدّ فإنه يُقام عليه الحدّ ثم يُصلى عليه كما فعل ﷺ كما في صحيح مسلم.

السؤال العشرون: هل تجوز الصلاة على من قَتَل نفْسه؟

الجواب: روى جابر بن سمرة في صحيح مسلم أن رجلًا قتل نَفْسه فمات فما صلّى ﷺ عليه، ترك الصلاة عليه.

قال أهل العلم: تحذيراً من الإمام أن لا يصلي على هذا، وما أعلم أن المسلمين صلوا عليه. وقد تتبعت هذه الرواية لأرى هل الصحابة صلُّوا عليه أم لا فما رأيت ذلك، والأصل أن نقف عند المأثور وهو أنه لا يصلى على من قتل نفسه تحذيراً له، وقد يرحمه الله بعد تعذيبه بهذا، وذلك لأنه ما كفر ولكنه فعل فعلاً من الكبائر نسأل الله العافية والسلامة.

السؤال الحادي والعشرون: هل يُصلَّى على الميت في قبره إذا فاتت الصلاة عليه في الحياة؟ يعني أتيت وصاحبك قد توفي وما أدركت الصلاة عليه مع الناس وأتيت وقد نقلوه وقبروه ودفنوه فماذا تفعل؟

الجواب: السنة في ذلك: أن تذهب وتصلي عليه صلاة الجنازة وهو في القبر، ويقول أهل العلم: إذا كان العهد قريباً وقدَّر بعضهم ذلك بشهر أو بما يقاربه، لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: «**كانت امرأة تقمُّ المسجد** ـ وفي لفظ: **رجل** ـ **فماتت فكأنهم**

سهّلوا شأنها وما أرادوا أن يخبروا الرسول ﷺ بشأنها، فصلّوا عليها ودفنوها، فسأل عنها ﷺ فأخبروه أنهم دفنوها أو دفنوه فقام على قبرها فصلَّى عليه ﷺ صلاة الجنازة».

وعند البخاري من حديث ابن عباس موقوفاً عليه وهو من قبيل المرفوع الحكمي قال: «صلَّى النبي ﷺ على قبرٍ منبوذ مرَّ بنا فصلَّى على قبر دفن لشهر»، أي لفترة شهر، فبعض أهل السنة يحدِّد بالشهر، وأما من فاتت مدته وطالت مدته فلا، بل تكتفي بالدعاء له والاستغفار.

السؤال الثاني والعشرون: حكم النعي! النعي في الإِسلام ما حكمه؟

الجواب: روى الإِمام أحمد والترمذي عن حذيفة قال: «**نهى الرسول ﷺ عن النعي وقال: لا نعي في الإِسلام**». فالنعي المنهي عنه هو الإِخبار على وجه التشهير بأن تُشهر به وتجعل له منزلة فوق منزلته كما يفعل الآن الناس في الصحف والمجلات، فيقول: ننعى إليكم فلان بن فلان الذي توفّى يوم كذا وكذا، وينشرون إعلانات في الصحف. هذا من النعي المحرم لأنهم يريدون به الشهرة، ثم يكتبون بعد ذلك إعلانات شكر لمن اتصل بهم في الهاتف وإعلانات شكر لمن زارهم ولمن واساهم ولمن بكى مع بكائهم أو غير ذلك، وهذا كله لم يرد في الإِسلام وهو خلاف السنة.

روى البخاري عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ لما مات النجاشي في الحبشة قال: «**نعى إلينا رسول الله ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه**»، فكيف نجمع بين الحديثين؟ يقول هنا: «**نعى إلينا**»، وهناك: «**نهى رسول الله ﷺ**»، وقال: «**لا نعي في الإِسلام**».

أما حديث النجاشي فمعناه: أخبرنا، فالخبر لا بأس به فلك أن تُخبر بموت الميت ليحضر الناس لكي يصلوا عليه لكن أن تُشهِّر به في

الناس وتَنْدُبه وتخبر به فهذا ليس وارداً وليس من السنَّة، وإنما النعي هنا بمعنى أخبرنا ﷺ بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فصلَّى عليه الصحابة كما سوف يأتي.

السؤال الثالث والعشرون: هل يصلى على الغائب؟ رجل مات في مدينة مثل الرياض ونحن هنا في خميس مشيط هل نصلي عليه هنا؟ وذلك لأن الناس كثر الحديث بينهم في هذه القضية وكثر القيل والقال؟

الجواب: للعلماء أربعة أقوال في المسألة.

بعضهم يقول: إذا كان الميت اتجاه القبلة فنصلي عليه، وهذا لا دليل عليه أبداً.

وبعضهم يقول: نصلي عليه مطلقاً، واستدلوا بحديث معاوية بن معاوية المزني أنه مات في المدينة والرسول ﷺ في تبوك فصلَّى عليه ﷺ من هناك. والحديث ضعيف لا يصح، بل يصل إلى درجة الوضع[1] ولكن ما هو الصحيح والراجح في المسألة؟

الراجح أن المسلم إذا مات في بلدٍ لم يُصلَّ عليه فيه فيصلي هو عليه، يعني مسلم مات في بلد، ولكن ما سمعنا أن أحداً صلَّى عليه فنصلي عليه صلاة الغائب لأن بعض العلماء قال: إن النجاشي لما توفي بأرض الحبشة وكانوا على دين النصرانية وما صلوا عليه، فصلَّى عليه ﷺ في المدينة وذاك في الحبشة صلاة الغائب.

فالمسلم إذا مات وتيقنَّا أنه لم يُصلَّ عليه صلَّينا عليه.

الحالة الثانية: قالوا إذا كان للمسلم بلاءٌ حسنٌ، إنسان مشهور

(١) انظر: الإصابة (٨٠٨٥).

عالم من العلماء الكبار، كما يفتي علماؤنا الآن بصلاة الغائب على عالم من العلماء أو مجاهد من المجاهدين الكبار، أو رجل عادل كان له عدل وكان يحكم بالكتاب والسنة فهذا يُصلى عليه.

فهي حالتان: إذا لم يصلَّ على الميت في البلد الذي مات فيه صُلي عليه.

والحالة الثانية: إذا كان له أثر وبلاء حسن فيُصلى عليه، أما إننا كلما سمعنا بميت قمنا صلينا عليه وقلنا للناس مات فلان بن فلان لأنه مسلم لكن ما له أثر وقدم صدق. فليس هذا بوارد في السنة فيما أعلم هذا في صلاة الغائب.

السؤال الرابع والعشرون: عدد المصلين الذي ورد مرغباً فيه عنه ﷺ ما هو؟

الجواب: ثبت عند الإمام أحمد وأبي داود عن ابن عباس قال ﷺ: «**ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئاً إلَّا شُفِّعوا فيه**». وكلما كثُر العدد كان أحسن، والسنة أن يكونوا ثلاثة صفوف. وكان ابن عباس إذا تَقَالَّ الناس وزَّعهم ثلاثة صفوف لأنه من أحسن ما يكون، وكذلك فعل جابر وكثير من الصحابة، فالأربعون فما فوق أحسن.

وورد عن ابن عباس في رواية: «**مائة وعشرون**»، لكن الأقل هو الذي ورد والأكثر كأنه على زيادة الأجر والله أعلم. فهنيئاً لمن صلَّى عليه أربعون أو أكثر لا يشركون بالله شيئاً وأخلصوا له الدعاء، فعسى الله أن يُشفعهم فيه.

السؤال الخامس والعشرون: صفة الصلاة على المرأة.

الجواب: ورد عن جابر بن سمرة «**أن الرسول ﷺ ماتت امرأة في عهده بسبب الولادة، أو ولدها مات في بطنها فماتت بهذا، فقام ﷺ وقام وسطها فصلَّى بالناس**»[1]. فالسنة أن يقوم الإمام وسط المرأة إذا عرَّضها أمام الناس أن يقوم وسط المرأة، وعند صدر الرجل، هذه سنته ﷺ في الصلاة. والدعاء للمرأة يتغير بلفظ المؤنث، والرجل بلفظ المذكر، وسوف نذكر الأدعية التي كان يدعو بها ﷺ.

السؤال السادس والعشرون: هل يجوز لنا أن نصلي على الجنازة في المسجد؟

والجواب: أن نقول الأصل في ذلك أن تكون في الجبَّانة في الصحراء. هذا الأحسن والأحوط. وكان الصحابة يفعلونه وهو الأغلب في فعلهم مع الجنازة، لكن في حديث عائشة رضي الله عنها كما في الصحيح قالت: والله ما صلَّى رسول الله ﷺ على سهيل وسهل بن البيضاء إلَّا في المسجد. يعني احتاجت رضي الله عنها أن تدفع حجة من يقول لا يجوز، لأن المشهور عند الصحابة أنهم صلوا هناك، لأن سبب الحديث أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأرضاه توفي فأتوا به من البادية فأدخلوه في المسجد مسجد الرسول ﷺ يصلون عليه، فأنكر بعض الصحابة، فقالت عائشة: ما بال الناس؟ ما أسرع ما نسي الناس؟ والله ما صلَّى رسول الله ﷺ على سهل وسهيل بن البيضاء إلَّا في المسجد.

فعُلم أنه جائز، ولا مانع أن يُصلى على الميت في المسجد إذا كان الجمع أكثر أو كانت الجبانة أو الصحراء بعيدة ولا يمكن أن يذهب الناس إلى هناك، فالأمر وارد في السنة وله أصل، لكن الأولى والأحوط إذا كانت المقبرة قريبة أن يُصلى عليه في الصحراء في الجبانة.

---

(١) متفق عليه.

السؤال السابع والعشرون: وصف الصلاة على الميت والدعاء.

الجواب: ورد أربع تكبيرات، وورد خمس، والراجح الأربع كما يقول الحنابلة وغيرهم من المحدثين. كان ﷺ يُكبر التكبيرة الأولى فيقرأ سورة الفاتحة، وكان ابن عباس يجهر بها أحياناً يُعلمها الناس يقال: ليعلموا أنها سنة. وورد أن ابن عباس كان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مع الفاتحة. ويُكبر الثانية ويصلي على الرسول ﷺ الصلاة الإبراهيمية: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد (الحديث)، ويكبر الثالثة ويدعو للميت كما في حديث عوف بن مالك قال: «توفي على عهد رسول الله ﷺ رجل فاقتربت من الرسول ﷺ حتى لامست ثيابي ثيابه، فسمعته يقول: **اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم عافه واعفُ عنه، وأكرم نُزله، ووسع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلًا خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه**»[(١)].

قال عوف بن مالك: فوددت والله أني أنا الميت ـ يعني من حسن الدعاء ـ.

وكان ﷺ ربما قال: «**اللهم اغفر لحيِّنا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وذكرنا وأنثانا. اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفّه على الإيمان، اللهم لا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم**»[(٢)] أو كما قال ﷺ، ثم يُسلم تسليمة واحدة على اليمين كما هو المعروف وإن سلم تسليمتين فوارد ذلك في حديث معقل بن يسار وهو صحيح، وحديث ابن المغفل وهو صحيح: «**أن الرسول ﷺ سلم تسليمتين**»[(٣)]. فالإمام أحياناً يسلم تسليمتين إذا أراد، ولكن الغالب الراجح تسليمة واحدة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد (٢/ /٣٦٨)، وأبو داود (٢/ /٦٨)، وصحّحه الألباني في أحكام الجنائز (١٢٤).

(٣) رواه الدارقطني، والحاكم، والبيهقي، وصحّحه الألباني في أحكام الجنائز (١٢٨).

السؤال التاسع والعشرون: ما أجر من شهد الجنازة؟

الجواب: صحّ عنه ﷺ من حديث أبي هريرة أنه قال: «**من شهد الجنازة حتى يُصلى عليها وتُدفن عاد من الأجر بقدر قيراطين، كل قيراط كجبل أُحد**»[1].

السؤال الثلاثون: أين يكون المشيّع للجنازة؟

الجواب: الماشي، المشيِّع الذي يمشي، السنَّة أن يكون أمام الجنازة لما رواه الخمسة وابن حبان «**أن الرسول ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنازة، أما الراكب فخلفهم**»، الذي يشيعها وهو راكب سيارة أو دابة السنة أن يكون خلف الجنازة، وأما الماشي فيمشي أمام الجنازة، وإن مشى بجانبيها فحسن ولا بأس ولكن الأفضل أن يكون أمامها.

السؤال الحادي والثلاثون: هل يجوز اتباع النساء للجنازة؟

الجواب: تقول أم عطية في الصحيحين: «**نُهينا عن اتباع الجنازة ولم يُعْزَم علينا**»، نهاهم ﷺ، ولكن تقول ما عَزَم عليهم، وأهل العلم كثيراً منهم يرون أن لا تتبع المرأة الجنازة ويلحقونها بباب زيارة القبور للنساء لأنها سريعة الهلع وقليلة الصبر، فليس لها أن تتبع الجنازة، بل تبقى في بيتها وتتقي الله عزَّ وجلَّ. ولو كان الميت قريبها أو ابنها أو أخاها أو أباها فلا تفعل، تبقى في بيتها وتتقي الله وبيتها أستر لها.

السؤال الثاني والثلاثون: كيف يدخل الميت قبره؟

الجواب: روى الإمام أبو داود من حديث عبد الله بن يزيد أنه قال: «**السنة أن يُدخَل الميت من قِبل رجليه القبر**»، أي أول ما يدخل من هناك رأسه ثم يمشي من عند رجلي القبر حتى يوضع في قبره،

---

(١) متفق عليه.

هذا هو المتصور. وهذا الحديث عند أبي داود من حديث عبد الله بن يزيد رضي الله عنه وأرضاه.

السؤال الثالث والثلاثون: ما حكم زيارة القبور للرجال والنساء؟

الجواب: أما زيارة القبور فهي سنة للرجال لقوله ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزُوروها فإنها تذكركم الموت**». وهذا الحديث أيها الإخوة الفضلاء عند الحاكم من حديث أنس وهو صحيح.

وأما النساء فالراجح عند أهل العلم أنه لا يجوز للمرأة أن تزور القبور لقوله ﷺ: «**لعن الله زوّارات القبور والمتَّخذين عليها المساجد والسروج**»[1] أو كما قال ﷺ. ولو أن بعضهم يقول: يجوز للمرأة أن تزور نادراً، لأن لفظ الحديث زوارات ويراها مثل الألباني لكن الصحيح لا، الصحيح (زائرات)، ورد هذا ولو كان زوارات لما أخرجنا اللفظ من أن الرسول ﷺ منع الزوارات، ومن يخبرنا أن المقصود به من تكثر الزيارة ولو كان لفظ المبالغة.

وقطع مادة الإِفساد هو الأولى والأحسن، وذلك لسدِّ الذريعة فتمنع النساء أن يزُرن المقبرة.

أما ما ورد مثلاً في صحيح مسلم والذي يستدل به مثل الشيخ الألباني وغيره من العلماء يقولون: إن الرسول ﷺ يقول لعائشة لما قالت له: يا رسول الله إذا زُرت القبور ماذا أقول؟ قال: قولي اللهم اغفر لهم وارحمهم، الحديث. فهذا والله أعلم يكون كما بيَّن بعض الشرّاح إذا اضطرت أن تمرّ بالمقبرة، يعني امرأة مرَّتْ ما زارت، فلها أن تُسلِّمْ، تكون في سيارة أو مرت مع ابنها، أو مرَّت وحدها، ورأت قبوراً فلها أن تُسلم وتقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**».

---

(١) رواه أهل السنن.

وأما أن عائشة زارت قبر أخيها في مكة وبكت وأبكت فهو عند الترمذي من حديث عطاء، وفي سنده نظر وانقطاع، ثم عمل الصحابي وحده لا يكون حُجَّة والمسألة فيها بحث طويل.

والخلاصة: زيارة القبور للرجال سنة وللنساء فممنوع من ذلك لهلعهن وفَزَعهن.

السؤال الرابع والثلاثون: ثبت عنه ﷺ أن الميت يُعذب ببكاء أهله كما في الصحيح ولكن أي البكاء؟

الجواب: البكاء الذي فيه نياحة وفيه رفع صوت وفيه نَدبة وتسخط على القضاء والقدر، أما البكاء الذي فيه حُزن القلب وسيل الدموع فهذا ليس فيه بأس، والرسول ﷺ دمعت عيناه وحَزِنَ قلبه وقال في موت إبراهيم: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[1] أو كما قال ﷺ.

الخامس والثلاثون: السنة في العزاء أيها الإخوة الفضلاء أن تُعزي بالميت. قال الشوكاني: مدّة العزاء ثلاثة أيام، وألا يتجمع الناس في بيت الميت، ولا ينصبوا خياماً كما يفعل بعض الناس، ولا يصنع أهل الميت للناس طعاماً كما يفعل بعض الناس، وإنما قال ﷺ عند الخمسة: «**اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم**» في قتل جعفر.

فالسنة أن يصنع الجيران والناس لأهل الميت طعاماً ويرسلوا الطعام لأهل الميت، وأما أن يُكلف أهل الميت بالطعام فليس من السنَّة، وتجمعات الناس الآن في الخيام وجلوسهم ثلاثة أيام وترك الوظائف والأعمال والأشغال والدراسة ليس من الإِسلام، وهو دليل على العطالة والبطالة، حتى أن بعضهم يسمن وقت العزاء من كثرة ما

---

(١) متفق عليه.

يأكل، يصيبه تخمة لا هم ولا غَم، ولا بُكا ولا حزن، فإذا قلت له: لماذا لا تداوم أو تدرس؟ قال: وأترك مشاركة جاري في الأحزان، بل لا تتركه من أجل الطليان والخرفان! فكل هذا ليس وارداً لا عقلاً ولا نقلاً، ما فعله السلف ولا الرسول ﷺ ولا الصحابة.

ولسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كتاب في هذا. السنة أن تُعزي ولا تجلس، ولك أن تعزي عند المقبرة أو في الطريق أو في السوق أو في الهاتف أو بالرسالة.

السؤال السادس والثلاثون: معتقد أهل السنة في قضية عصاة الموحدين. وقد سبق الكلام بأنه يخاف عليهم من العذاب ويُرجى لهم الرحمة، ولكن لا يخلدون في النار، ويُسمون فَسَقَة لأنهم من أهل الكبائر.

والأمر الثاني: هل نشهد لأحد بجنة أو نار؟

أما الجنة فقال ابن تيمية: لأهل السنة فيها قولان:

القول الأول: لا نشهد بالجنة لأحد إلّا من شهد له الرسول ﷺ.

القول الثاني: من استفاضت عدالته وزهده وصلاحه وخيره شهدنا له بالجنة لقوله ﷺ: «**وجبت وجبت**»، ثم قال: «**أنتم شهداء الله في أرضه**»[1].

وأما النار فلا، ولا يُشهد بها إلاً لمن شهد له الله ورسوله ﷺ بها كأبي لهب، وأما غيرهم فلا... مهما فعل. والله أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

---

(١) متفق عليه.

النعي والبكاء على الميت

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد. . .

قال البخاري رحمه الله: (باب) الصفوف على الجنائز، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نعى النبي ﷺ إلى أصحابه النجاشي ثم تقدَّم فصفوا خلفه فكبّر أربعاً.

هذا الحديث في كتاب الجنائز فيه مسائل:

الأولى: فائدة ترجمة البخاري.

والثانية: بعض رجال السند ولطائف من الإِسناد.

والثالثة: عَلَم من أعلام النبوة في إخباره ﷺ بموت النجاشي.

والرابعة: حكم الصلاة على الميت في المسجد.

والخامسة: الصلاة على الغائب وفيه سبعة مذاهب لأهل العلم.

والسادسة: النعي وحكمه في الإِسلام محذوره ومندوحه، وجائزه ومكروهه، ثم البكاء وأقسامه.

والسابعة: البكاء على الميت هل يعذب به، وفيها ستة مذاهب لأهل العلم.

أما تبويب البخاري فقد أبهم مراده رحمه الله وهذا من فقهه رحمه الله، لأن المسألة خلافية لم يتحقق فيها رأي راجح له أو لغيره.

قال: الصفوف على الجنازة... فهل يقصد فضلها أو ثوابها أو ما ورد فيها، كل هذا محتمل من تبويب البخاري.

قال ابن حجر: يشير البخاري رحمه الله إلى قول عطاء أنه سُئل: هل نصف على الجنائز؟

قال: لا... تستغفرون وتدعون له. روى هذا الأثر عبد الرزاق في مصنفه.

والأمر الثاني: كأنه يشير إلى الحديث الذي ليس على شرطه من حديث مالك بن هبيرة مرفوعاً: «**من صلَّى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب**»[1]، حسّن هذا الحديث الترمذي ورواه أبو داود وصححه الحاكم.

أوجب: أي وجبت له الجنة.

وفي تصحيح الحاكم نظر فهو من رواية محمد بن إسحاق صاحب السيرة وهو مدلس، وقد عنعن في سند الحاكم فكيف يصححه الحاكم؟ فتصحيحه ليس بجيد كما أشار بعض أهل العلم.

(١) وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (١٠٠).

وهناك أحاديث تغني عن هذا الحديث الذي أورده ابن حجر في الشرح كحديث جابر في البخاري: فصفَّنا ﷺ فكنت في الصف الثاني (وفي رواية) كنت في الصف الثالث.

فدل على أنه ﷺ صفهم صفوفاً.

وتوفي ابن لابن عباس رضي الله عنهما في عسفان فقال لعكرمة: ناد الناس.

فلما ناداهم صفّهم رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة صفوف، فعُلم أنه فعله بأثر رضي الله عنه وأرضاه.

فالأجر والمثوبة في الصفوف وهو مقصود في الإِسلام لهذا الحديث ولحديث جابر.

وهنا مسألة: هل الأفضل إذا كان الناس في صحراء أن يكونوا صفاً واحداً ولو أخذهم المكان أم يتوزعون صفوفاً؟

الذي يميل إليه أهل العلم من المحدثين وأورده ابن حجر أنهم يصفون ولو اتسع المكان.

المسألة الثانية: علم من أعلام النبوة في إخباره ﷺ بموت النجاشي، فقد كان ﷺ بالمدينة والنجاشي في الحبشة، فلما توفي في ذاك اليوم قال ﷺ: «**لقد توفي اليوم رجل صالح في الحبشة فقوموا بنا لنصلي عليه**». والحبشة كما تعرفون تبعد عن المدينة أميالًا كثيرة ولا يُخبر به ﷺ إلّا بإخبار الله من علم الغيب، فهو علَم من أعلام نبوته ﷺ، وهذه معجزة قد تكررت له ﷺ أكثر من مرة أن يخبر بموت أناس في نفس اليوم الذي ماتوا فيه.

ففي الصحيحين عن أنس وعن ابن عمر وعن عائشة أنه ﷺ لما قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة في معركة

مؤتة أخبر ﷺ بهم ذاك اليوم وهو في المسجد، وكان يتكلم إلى الناس فقرّب الله له المكان حتى رآهم في وسط المعركة.

وقد أخبر بمثل هذا أيضاً ﷺ لما مات معاوية المزني، ومختصر القصة أن الرسول ﷺ خرج بالجيش إلى تبوك وخلّف معاوية بن معاوية المزني في المدينة لأنه مريض، فلما أصبح ﷺ في تبوك أتاه الخبر أن معاوية قد توفي، فقام ﷺ فصفّ الناس وصلّى بالجيش عليه وهو بتبوك ثم سلّم ﷺ ثم قال: «**لقد صلّى على معاوية بن معاوية المزني سبعون ألف ملك**»، فقالوا يا رسول الله: بماذا؟

قال: كان يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ قاعداً وقائماً وعلى جنبه.

وقد قوّى ابن حجر هذا الحديث واستحسنه وعضده بطرق له، وأصل الحديث عند أبي نعيم في الحلية ولكن حديثه في الحلية لا يستقيم والعهدة على ابن حجر ومن أحيل على مليء فليحتل[1].

وأما غير الرسول ﷺ في مثل هذه الأخبار الغيبية فهي من باب الكرامة. فقد ورد مثلاً أن عمر رضي الله عنه كان يصلي بالناس يوم الجمعة على المنبر فلما كان في أثناء الخطبة قطعها ثم قال: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، يا سارية الجبل.

فلما نزل سأله الناس: ما لك يا أمير المؤمنين؟

قال: لقد رأيت سارية وقد أُحيط به فقلت له: اعتصم بعد الله بالجبل، فالتجأ إلى الجبل فنجّاه الله هو وأصحابه.

ولما قدم سارية سألوه فقال: كدنا نهلك وأحيط بنا حتى سمعت صوت عمر يوم الجمعة يقول: يا سارية الجبل، فعمدت إلى الجبل فنجانا الله... وهذا من الكرامة.

---

(١) انظر: الإصابة (٩//٢٣٨).

الأمر الثاني: من هو النجاشي؟ النجاشي هو ملك الحبشة وكل من ملك الحبشة اسمه النجاشي، وأما هذا فاسمه أصحمة.

وإنما صلَّى ﷺ عليه لثلاثة أسباب:

قيل: لأنه لم يصلَّ عليه في الحبشة.

وقيل: تأليفاً لقلوب ملوك العرب لأنه ما دام أنه ﷺ يصلي على أولئك فمن باب أولى أن يصلي أو يترحم أو يتحبَّب بنفسه ودعوته إلى هؤلاء.

وقيل: لموقفه الكريم الشريف الماجد من صحابة الرسول ﷺ لما هاجروا إلى الحبشة، فكان حق على الرسول ﷺ أن يصلي عليه صلاة الغائب.

وعند البزار بسند فيه ضعف تقويه رواية الدارقطني في كتاب الأفراد: أن رجلاً قال: انظروا ينعي إلينا علجاً من علوج الحبشة!

فقام ﷺ فصلى عليه، فأنزل عزَّ وجل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾.

ويكفي واحد من الأسباب الثلاثة في أنه يصلي ﷺ.

حكم الصلاة على الميت في المسجد... ما مناسبة إيراد هذه المسألة في هذا الباب أو في هذا الحديث الذي أتى به البخاري؟ وهل في الحديث أنه ﷺ ذكر المسجد أو قال: اخرجوا بنا إلى الصحراء؟

فكيف وردت هذه المسألة؟

وردت هذه المسألة لأن في الرواية أن الرسول ﷺ قال: «**اخرجوا بنا أو هيا بنا نصلي على هذا**»، فعُلم أنه الخروج من المدينة. وفي روايات ليست عند البخاري أنه ﷺ صلَّى بهم في الصحراء في المصلَّى.

ولكن هل يجوز أن نصلي على الميت في المسجد؟

لأهل العلم أقوال:

١ ـ ذهبت الحنفية والمالكية إلى أنه لا يُصَلَّى عليهم في المسجد وأن الصلاة في المسجد إنما هي صلاة الأحياء وأن الذي ورد عنه ﷺ أنه كان يصلي في الصحراء ليقرب من المقبرة وليكثر الجمع وليتعظ في الصحراء بالميت، ولا يُدخل بالميت المسجد لأنه يعلم حال الميت فلا يكون المسجد ذريعة لدخول أموات كثيرين ربما يكونون غير مسلمين أو غير مستقيمين من فسقة وغيرهم.

٢ ـ وذهب الإمام أحمد والشافعي وجمهور السلف إلى أنه يُصَلى عليه في المسجد، والصلاة في الصحراء أفضل، ودليلهم ما روي عند أبي داود أن الرسول ﷺ صلَّى على سهيل وسهل ابني بيضاء في المسجد.

قال القرطبي: لا تُلبسوا علينا ما دام أن الحديث ورد فبطلت الآراء المضادة للحديث. وقد صدق رحمه الله، فهذا الرأي هو الصحيح للحديث.

ولما توفي سعد رضي الله عنه كما هو معلوم حُمِل إلى الصحراء فصُلِّي عليه فقالت عائشة: مروا بسعد علينا لندعو له... يعني على حجر نساء الرسول ﷺ.

فمرّوا بسعد رضي الله عنه وأرضاه فقال بعض الصحابة: لا تُصلوا عليه في المسجد.

فقالت عائشة: ما أسرع ما نسي الناس، والله لقد صلَّى رسول الله ﷺ على سهل وعلى سهيل ابني بيضاء في المسجد[1]،

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٦٣).

وصدقت رضي الله عنها وأرضاها، فالصلاة جائزة والأولى أن يُصلى عليه في الصحراء لأنه الذي داوم عليه ﷺ، والسنّة إذا وردت فلا كلام لغيرها.

الأمر الثالث: هل يُصَلّى على الغائب؟

ولأهل العلم فيه سبعة مذاهب أوردها ثم أذكر الراجح منها ـ إن شاء الله ـ.

١ ـ الصلاة على الغائب جائزة مطلقاً، وهو قول الشافعي وأحمد.

٢ ـ ومنع من الصلاة على الغائب المالكية والحنفية.

٣ ـ قال ابن عبدالبر: يجوز أن يُصَلّى على الغائب في اليوم الذي يموت فيه.

٤ ـ قال ابن حبان: إن كان في جهة القبلة صُلّي عليه، وإن لم يكن فلا يصلّى عليه، وهذا جمود كما قال ابن حجر.

٥ ـ لا يُصلّى عليه إلّا إذا مات في أرض لم يصلَّ عليه فيها، وهذا رأي أبي داود والروياني والخطابي وسوف يأتي توجيه كلامهم.

٦ ـ أن الصلاة على الغائب خاصة بالنبي ﷺ، لأن الله جعله يرى النجاشي وأما غيره فلا لأنه لن يرى الميت.

واعتمدوا على حديث لابن عباس عند الواقدي بسند ضعيف لا يصح أن الله سبحانه وتعالى جلّى لرسول ﷺ عن النجاشي حتى رآه، وعند ابن حبان عن جابر: لقد صلّى ﷺ على النجاشي وإنه ليراه.

وعند أبي عوانة: صلّى ﷺ وقد جلّى الله جنازة النجاشي أو كما قال.

فقال هؤلاء: هو خاص بالنبي ﷺ.

٧ ـ أن الصلاة خاصة بالنجاشي، فليس فيه عموم لأن الفعل لا يعم إذا لم يقارنه القول، وهو مذهب لبعض الأصوليين كما قاله الشوكاني في (إرشاد الفحول).

فأي الأقوال أرجح، وما دليل كل قول؟

أما قول الإمام أحمد أن الصلاة على الغائب مشروعة مطلقاً فاستدلوا عليه بأن الرسول ﷺ صلَّى هنا وصلَّى على معاوية بن معاوية المزني وقال ﷺ: «**قوموا نصلي على هذا**»، فاقترن قوله بفعله ﷺ ولم يرد مانع، فيبقى العموم، وقاعدة حمل العموم على وجهه أقرب من تخصيصه.

وأما الحنفية والمالكية فقالوا بعدم شرعية الصلاة، واستدلوا على ذلك بأن الرسول ﷺ لم يقل: صلوا على الغائب وإنما فعل هذا في ظرف من الظروف وفي حالة من الحالات، وبرغم كثرة من يموت من الصحابة في الغيبة فلم يصلّ على الغائب فاقتضى هذا أنه خاص.

وأما ابن عبد البر فقال: يُصلى في اليوم الذي يموت فيه، ولكن يُرد عليه بأن العلة مجهولة، فلماذا خصصته بهذا اليوم؟ ولا دليل عندك.

وأما ابن حبان فقال: هي لمن كان في جهة القبلة وهذا جمود كما قال ابن حجر.

فأي دليل يعضد ما ذهب إليه ابن حبان؟ وأي مستند له في ذلك؟ ولا يكفي الواقعة التي وقعت ما لم يقرنها علة إما معقولة أو دليل صريح وإلاَّ فالعبرة بالعموم.

وأما من قال لا يصلَّى عليه إلاَّ إذا مات في أرضٍ لم يصلّ عليه فيها، فهذا له وجه من النظر وقرائن الحال، والسياقات تؤيد ما ذهب إليه هؤلاء وهو مذهب الروياني والخطابي وأبي داود.

لكن نقول: هل نُقل لكم أن الحبشة ليس فيها مسلمون حينذاك ولم يصلوا على النجاشي أم لا؟

وأما من قال هو خاص بالنبي ﷺ فليس بظاهر لأن الأحاديث التي استدلوا بها ضعيفة وليست بقائمة ولا يؤخذ من دلالتها الخصوصية له ﷺ ولو جُلّي له عن النجاشي.

وأما من قال: هو خاص بالنجاشي فيُرد عليهم بمثل ما رُدَّ على ابن حبان بأنه جمود.

والصحيح أن يقال: الصلاة على الغائب المسلم مشروعة، وتتأكد إذا لم يُصلّ عليه في المكان الذي توفي فيه، وتتأكد أيضاً إذا كان له بلاء حسن في الإِسلام كأن يكون مجاهداً أو مدافعاً أو مسؤولاً له مكانة في الدين.

وهنا مسألة: هل من صلّى على الغائب يُسقط فرض الكفاية للصلاة؟

ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يُسقط فرض الكفاية.

وذهب آخرون إلى أنه لا يُسقط.

والصحيح أنه يُسْقط فرض الكفاية لأن الناس المصلين ولو كانوا غائبين فإنهم يقومون بما يقوم به الحاضر.

وأما قوله في الحديث: (نعى ﷺ لأصحابه النجاشي) فإن النعي إذا أطلق في الشريعة فهو على قسمين:

١ - بمعنى الإِخبار.

٢ - وبمعنى البكاء والتضجر.

فأما إن كان النعي للإِخبار واللغة تحتمل ذلك يقال: نعى فلاناً إلى فلان أي أخبره، ويقال: نعى فلاناً على فلان، أي بكى عليه وتضجر من موته.

فأما بمعنى الإِخبار فينقسم أيضاً إلى قسمين: ممدوح ومذموم.

فالنعي الممدوح في الإِسلام هو الذي يخبر بموت صالح أو مسلم لقصد الصلاة عليه والدعاء له وحضور جنازته ودفنه والاتعاظ بموته، وهذا هو الذي عُهد عنه ﷺ أنه كان ينعى أي يدعو الصحابة ليصلوا على الميت فهذا هو الممدوح.

والمذموم هو ما كان للشهرة ولتزكية الميت ولتأبينه كما يحدث في بعض الصحف وبعض وكالات الأنباء إذا مات رجل ولو كان كافراً عدواً لله! أشغلوا الناس بموته وعدَّدوا حسناته و... و... فهذا هو المذموم.

لأن فيه فعلاً من أفعال الجاهلية الذين كانوا يخبرون إذا مات الميت بالنعي، فيذكّرون الناس بموت الرجل ويعلنون على المنائر وفي الأسواق.

يقول الأول:

ألا صبح الناعي بخيري بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

يقول: أخبرنا هذا الناعي بموت هذين السيدين الجليلين... وهم من الجاهلية.

وفي تاريخ ابن عساكر أن جحدر بن عدي لما حكم عليه الحجاج بالقتل استدعاه من اليمامة، وكان جحدر هذا فاتكاً ينصب الكمائن للقوافل.

فأحضروه إلى الحجاج، وفي الطريق قال لما رأى النخل عليه الحمام يتجاوب:

يميناً شاقني فازددت شوقاً بكاء حمامتين تجاوباني
تجاوبتا بلفظ أعجمي على غصنين من غربٍ وباني

إلى أن قال:

إذ جاوزتما صخرات نجد ونخلاً باليمامة فانعياني

أي فأخبرا الناس بموتي لأنني كنت سيداً من سادات العرب كما يدّعي.

وقال طرفة بن معبد لابنته لما حضرته الوفاة:

إذا مُت فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبدِ

وأما النوع الآخر فالنعي بمعنى النياحة ودعاء الويل والثبور والتأسف فهو على قسمين:

١ ـ بكاء لا شيء فيه بل هو من الرحمة والرقة، وقد أدخله بعض أهل العلم في السُّنة.

٢ ـ وبكاء فيه تضجر وتسخُّط ومخالفة لأمر الشارع، فهذا هو المذموم.

أما البكاء من الرحمة فقد بكى ﷺ في أكثر من واقعة.

وفي الصحيح أنه ﷺ ذهب ليزور سعد بن عبادة فأتى فإذا هو مغميّ عليه فقال: أمات أخي؟ وبكى ﷺ. فقال ابن عوف: ما هذا يا رسول الله؟

قال: «**إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعذب بهذا أو يرحم**»(١) وأشار إلى لسانه.

وكذلك في الصحيح عن أنس أن بنت رسول الله ﷺ زينب دعت رسول الله ﷺ ليحضر ابنها وقد حضرته الوفاة، فأرسل إليها وقال لها: «**لتصبر ولتحتسب، فإن لله ما أخذ ولله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى**».

---

(١) متفق عليه.

فأرسلت إليه وعزمت عليه ليأتين.

وكان ﷺ في الصحيح رجلاً سهلاً، أي أنه يجيب، خاصة أنها ابنته وفلذة كبده رضي الله عنها و ﷺ عليه.

فقام وقام معه الصحابة، فسلّمت له ابنها فأخذت نفسه تقعقع كما تقعقع الشنة في يديه ﷺ، فأخذ يبكي، فقال له الصحابة ابن عوف وغيره: ما لك يا رسول الله؟

قال: «**هذه رحمة يجعلها الله في قلب من يشاء من عباده**»[1].

وبكى ﷺ كما في الصحيح من حديث أنس لما توفي ابنه إبراهيم وقال: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلّا ما يُرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[2].

فهذا البكاء سنة عند بعض أهل العلم أو هو جائز، وهو من رقة القلب ومن الرحمة، ومن تذكر الوفاة، ومما جعل الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس من الرحمة، ويرحمهم الله بسبب هذا البكاء على غيرهم.

والناس ثلاثة أقسام في هذه المسألة: طرفان ووسط.

فالطرف الأول من يبكي فيدعو بالويل والثبور ـ وهذا سوف يأتي ـ ويولول ويصيح ويتسخّط، فهذا مذموم وصاحبه مأزور غير مأجور ولا مشكور.

والطرف الثاني: طرف لا يبكي فتجمد عينه ويقسو قلبه... فهذا مذموم أيضاً.

والطرف الوسط هو الذي يبكي البكاء الوارد، فيحزن قلبه وتدمع

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

عينه ولا يقول إلاَّ ما يرضي الله عزَّ وجل، فإن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب باللسان ويرحم كما قال ﷺ.

قال ابن تيمية لما تعرّض للكلام عن الفضيل بن عياض أنه لما دفن ابنه علياً ضحك على القبر، أي أنه وصل لحالة الرضا. فقال ابن تيمية ما معناه: إن هذا ليس مطلوباً في هذا الموقف والحال، وبيّن أن الفضيل ورد على قلبه وارد البكاء والرقة لموت ابنه ووارد الرضا والتسليم لله عزَّ وجل، فلم يحتمل قلبه الواردين ففضّل وارد الرضا فتبسم وضحك على قبر ابنه.

وأما الرسول ﷺ فكان قلبه أكبر وصدره أوسع وأعلم بربه فاحتمل الواردين، وارد الرقة والبكاء ووارد الرضا، فجمعهما في قوله: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلَّا ما يرضي ربنا**»، هذا الرضا «**وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**» هذا الحزن.

فجمع البكاء وجمع الرضا ﷺ ومقامه أشرف.

وأما القسم الثاني من أقسام البكاء: فهو قسم التضجر والسخط والنياحة، وهذا هو المذموم الموزور صاحبه فهو غير مأجور ولا مشكور.

ورد في حديث عند البخاري أن رسول الله ﷺ مرَّ على قبر وعليه امرأة تبكي فقال ﷺ: «**اتقي الله واصبري**».

قالت: إليك عني! ـ ولم تكن تعرف أنه رسول الله ﷺ ـ فإنك لم تُصَب كمصيبتي.

فلما ذهب ﷺ قالوا لها: إن هذا رسول الله ﷺ.

فلحقته فقالت: يا رسول الله لم أعرفك.

فقال ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»، يعني ليس هذا

وقت الصبر، فلو صبرتِ عند الصدمة الأولى لكان أولى وأفضل.

وفي الصحيح أن أبا موسى رضي الله عنه وأرضاه حضرته الوفاة فقال لأهله: إني أحذركم أن تنوح عليّ نائحة فإني أبرأ مما برىء منه ﷺ.

قالوا: ما الذي برىء منه ﷺ؟

قال: «**برىء من الصالقة والحالقة والشاقة**»(١).

وفي حديث آخر: «**أن النائحة إذا لم تتب يصبُّ على رأسها القطران وتُكسى جلداً من جرب**» أو كما قال(٢).

وفي حديث ابن عمر: «**الميت يُعذب ببكاء أهله عليه**»(٣).

إذاً هذا هو الحزن المذموم... وحديث ابن عمر هذا يقودنا إلى مسألة وهي: هل الميت يعذب ببكاء أهله عليه؟

أقول: الأحاديث في هذه المسألة وردت من حديث عمر وابن عمر والمغيرة بن شعبة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أن الرسول ﷺ قال: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»، هذا حديث عمر وابن عمر والمغيرة بألفاظ متقاربة وهو أصل في المسألة أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فكيف قابل أهل العلم هذا النص وغيره من النصوص؟ لقد انقسم العلماء إلى ست طوائف تجاه الحديث:

١ - منهم من قال: الباء هنا في قوله: (ببكاء) حالية أي في حالة ما يبكون عليه في الوقت الذي يبكون عليه يعذب هو في قبره.

أي يبدأ العذاب ببداية بكائهم عليه.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

٢ ـ ومنهم من قال: هو خاص بالكافر، فالكافر هو الذي يُعَذب ببكاء أهله عليه، وأما المؤمن فلا يدخل في ذلك، وهذا رأي عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

وكانت تقول: والله ما كذب ابن عمر ولا كذب أبوه ولكن أخطأ، إن الرسول ﷺ مرَّ بقبر من قبور اليهود فقال: إنه يعذب ببكاء أهله عليه، وفي لفظ أن يهودية تبكي على قبر فقال: «**إن هذه تبكي على هذا القبر وإن هذا الميت يعذب ببكائها**».

٣ ـ ومنهم من قال: بأنه يعذب مطلقاً سواء كان مسلماً أو كافراً إذا بكى عليه أهله، وهو رأي لأبي هريرة كما في مسند أبي يعلى بسند مقبول قال: يقول أبو هريرة: والذي نفسي بيديه إن الشهيد ليخرج في سبيل الله فيهريق دمه ويقتل جواده فيبكي عليه سفيه فيعذبه الله ببكاء هذه السفيه.

٤ ـ ومنهم من قال: بأنه يعذب إذا أمر بذلك وأقرَّه، ولا يعذَّب إذا نهى عنه.

٥ ـ ومنهم من قال: إن هذا العذاب توبيخ من الملائكة لحديث أحمد في مسنده أن رجلًا أغمي عليه فأخذت أخته تصيح وتقول: واعضُداه، وانصيراه، واحبيباه، واسنداه.

فلما استفاق قال: والله ما قلت كلمة إلاَّ قال لي الملك مثلها توبيخاً.

٦ ـ ومنهم من قال: بأن الميت يتألم لبكائهم ولا يتعذب، إنما يتألم ويصيبه مرارة وألم ولا يرتاح في قبره لأنهم يبكون عليه، وهذا رأي الطبري والقاضي عياض وشيخ الإِسلام ابن تيمية.

والراجح: الرأي الرابع وهو الذي دلَّت عليه النصوص ورجَّحه كثير من المحدثين وعليه سياقات الأحاديث، وهو الذي يقول: يعذب

الميت إذا أمر بذلك أو أقرَّ ولم ينه، وأما إذا نهى وبكوا عليه فلا يعذَّب إن شاء الله.

ولذلك كان الصحابة إذا حضرتهم الوفاة ينهون أهلهم أن يبكوا عليهم ويمنعونهم من ذلك لئلا يُعذبوا ببكاء هذا الحي.

هذه خلاصة المسألة، والراجح فيها، وبها نختم هذه الرسالة. والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

يوم يبعثر ما في القبور

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شُكراً شكراً. الحمد لله الذي رفع السموات بلا عمد، وبسط الأرض في مدد، والحمد لله الذي خلق الإنسان في كَبَد، الحمد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

والصلاة والسلام على أبي الزهراء خيرة الأنبياء وصفوة الأصفياء، ما سرى الهواء، وما ترنَّم الطير في السماء، وما لمع نجم في الظلماء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس:

إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا ... وفي كل يومٍ واعظ الموت يندبُ
إذا قيل أنتم قد علمتم فما الذي ... عملتم وكلٌّ في الكتاب مرتبُ
فيا ليت شعري ما نقول وما الذي ... نجيب به إذ ذاك والأمر أصعبُ

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يا أيها الإنسان... يا من حمل همومه وغمومه... يا من تعدَّى حدود الله، وانتهك حرمات الله، وأكل نعم الله، واستظل بسماء الله، ووطىء أرض الله.

يا أيها الإنسان إنك سوف تُعرض على الله.

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا فيسأل ربنا عن كل شي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾، ما الذي خدعك حتى عصيت الله؟

ما الذي غرَّك حتى تجاوزت حدود الله؟
ما الذي أجهلك حتى انتهكت حرمات الله؟

يا أيها الإنسان أما كنت نطفة؟ أما كنت ماء؟ أما كنت في عالم العدم؟ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾.

مسكين هذ الإنسان... حقير هذا الإنسان... صغير هذا الإنسان، أتى من ماء وأتى من عالم العدم وأتى من نطفة، فلما مشى على الأرض تكبَّر وتجبَّر ونسي الله الواحد الأحد.

في المسند للإمام أحمد بسند جيد عن عبد الله بن جحش قال: أخذ رسول الله ﷺ بصاقاً ثم وضعه في راحته ثم أخذ يديره بأصبعه ويقول: «**يقول الله تبارك وتعالى: يا بن آدم خلقتك من مثل هذا ثم ربيتك فلما تربيت جمعت ومنعت ومشيت على الأرض وللأرض منك**

وئيد ثم قلت: لن يعيدني كما أنشأني أول مرة»[1].

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾، من هذا المجرم الذي اعترض على قدرة الله؟

من هذا العاصي الذي أنكر البعث والقدوم على الله؟

صاح هذه قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد؟
خفِّف الوطأ ما أظن أديم الأرض إلاَّ من هذه الأجساد

هذا المجرم هو: العاص بن وائل الذي أكثر الله ماله وولده ولكنه كفر بلا إله إلاَّ الله.

أتى إلى الرسول ﷺ بعظم بالٍ وفتَّته ونفخه أمام المصطفى ﷺ وقال: يا محمد أتزعم أن ربك يعيد هذه العظام بعد أن يميتها؟

فقال ﷺ: «**يميتك الله، ثم يبعثك الله، ثم يدخلك الله النار!**».

فيقول الله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أتى يضرب لنا الأمثال ونسي مكرماتنا، ونسي معروفنا، ونسي جميلنا ونعمنا، وأتى يضرب لنا الأمثال اليوم ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ من الذي أنشأه من العدم؟ من الذي أغناه من الفقر؟ من الذي أمشاه على رجليه؟ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾، فما له نسينا اليوم؟

هذا العاصي قُتل في بدر كافراً بالله العظيم، فهذه خاتمة كل مستكبر عنيد.

هذا العاصي أتاه واحد من الفقراء المسلمين وقد عمل له عملاً فقال: يا أبا عمرو أعطني أجرتي.

قال: أتؤمن بمحمد؟

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه بنحوه.

قال: نعم.

قال: أتؤمن بأن الله يبعثنا يوم القيامة؟

قال: نعم.

قال: فإذا بعثنا الله أعطيتك!!

﴿قَالَ مَن يُحْيِي ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ والله لنبعثن كما نستيقظ... حفاة عراة غُرلاً بُهماً كما خُلقنا أول مرة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

نخرج من قبورنا مذهولين خائفين وجلين إلاَّ من رحم الله.

ولا يأمن من مكر الله ولا من عذاب الله ولا من لعنة الله إلاَّ من أمّنه الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

صح عنه ﷺ أن الإنسان يخرج من قبره للبعث فمنهم من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ العرق ركبتيه، ومنهم من يبلغ ترقوتيه، ومنهم من يبلغ سُرَّته، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً فلا يتكلم ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ قال أهل العلم: الشجرة بذرة أنبتها الله ورعرعها بالماء ثم يبست وأصبحت حطباً يوقد به النار.

وقال بعضهم: هما شجرتا: المرخ والعفار من شجر الحجاز، إذا ضربت إحداهما بالأخرى انقدح الشرار.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، يا أيها الإِنسان... انظر إلى السموات بلا عمد.

يا أيها الإِنسان انظر إلى الأرض في أحسن مدد، تفكّر في مَن أتى بالهواء؟

ومَن سيّر الماء؟

ومن جعل الطيور تتراد بالنغمات؟

ومن جعل الرياح غاديات رائحات؟

ومن فجّر النسمات؟

ومن خلقك في أحسن تقويم؟ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾.

سبحان الله! ما أقدر الله.

يقول عمر رضي الله عنه وأرضاه: والله لولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

أي: لو لم يكن هناك بعث ونشور لأكل الأقوياءُ الضعفاءَ، وأخذ الظلمة الظالمين، وتجبر المتجبرون في الأرض.

مَثّل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
إن قيل نور الدين جاء مسلماً ... فاحذر بأن تأتي وما لك نور
حرّمت كاسات المُدام تعففاً ... وعليك كاسات الحرام تدور

متى يستفيق من لم يستفق اليوم؟

متى يتوب إلى الله من لم يتب هذه الساعات؟

متى يحاسب نفسه من لم يحاسبها قبل العرض على الله؟

خرج إبراهيم عليه السلام يوماً من الأيام فرأى جثة حيوان ميت على الشاطىء تأكلها السباع.

فوقف عليها متعجباً وهو يقول في نفسه: كيف يعيدها الله يوم القيامة وقد أكلتها السباع والطيور؟

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾.

في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»[1]، أي: لو كان إبراهيم يشك لكنا نحن أضعف وأولى أن نشك، ولكن إبراهيم ﷺ لا يشك.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ أي: لأزداد يقيناً إلى يقيني، وإيماناً إلى إيماني، فليس الخبر كالمعاينة.

قال الله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي قطّعهن ومزّقهن.

فقطع رؤوسها وفصل أرجلها وأكتافها وأيديها وفرّق ريشها ثم خلط الأربعة.

فقال الله له: ﴿ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾، فأخذ كل مجموعة من اللحم والعظام والريش فجمعه ووزّعه على أربعة جبال ثم نزل في الوادي ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ﴾ فلما نزل قال: أيتها الطير بإذن الله تعالى، فبعث الله الأرواح فيها وكانت رؤوس الطير في يده

---

(١) متفق عليه.

فأقبل الريش والعظم وكل طائر يدخل في رأسه فلما تركبت أجسامها في رؤوسها طارت ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فيا من شك في قدرة الله! ويا من شك في البعث والنشور!

ترقب يوم يبعث الله الأولين والآخرين، يوم يناديهم ليوم لا ريب فيه ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ فاعمل لذاك اليوم وتزيَّن ليوم العرض على الله، والبس لباس التقوى وأكثر من الحسنات والأعمال الصالحة... فإنك راحل ولا بد.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

أسأل الله أن يزيد إيماننا ويقيننا بهذا اليوم حتى نستعد له حق الاستعداد. والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد... يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

يقول البخاري في كتاب الرقاق من الصحيح: (باب ما يُحذر من زينة الحياة الدنيا): وقال الله عزَّ وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

ثم قال رحمه الله: وقال علي بن أبي طالب: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبِلة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

وفي ترجمة نوح عليه السلام أنه لما حضرته الوفاة قال له محبُّوه: كيف وجدت الحياة؟ لأنه عاش أكثر من ألف سنة منها ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً في الرسالة.

قال: وجدت الحياة كبيت له بابان... دخلت من هذا وخرجت من ذاك!

يقول أبو العتاهية للمهدي العباسي:

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوحْ   لتموتَن وإن عمّرت ما عُمّر نوحْ

وهذا هو مصداق قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾. قال بعض المفسرين: سبب نزول هذه الآية أن أبا جهل قال: يزعم محمد أن عند الله ملائكة عددهم تسعة عشر على النار. فأنا أكفيكم بعشرة وأنتم اكفوني بتسعة!.

فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾.

من الذي خرج من الدنيا بأحبابه وخلانه؟ من الذي اصطحب جيرانه وإخوانه؟ من الذي ذهب بالثياب والأحباب والأصحاب؟... لا أحد.

ولذلك يقول سبحانه في سورة أخرى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

قيمة الحياة أن تصرفها في رضوان الله وفي طاعته.

دقات قلب المرء قائلة له   إن الحياة دقائق وثوانِ
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثانِ

عند البخاري أن الرسول (ﷺ) قال لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك، أو كما قال.

أراد عمر أن يولي والياً على حمص فاختار سعيد بن عامر الجمحي من قريش، وكان عابداً زاهداً شاباً من شباب محمد (ﷺ)، لا يملك إلاّ عصاه وثوبه وصحفته وإبريقه.

يقول أحد العلماء: لما ملكنا الدين سخَّر الله لنا الدنيا، فلما ملكنا الدنيا وتركنا الدين أخذت من بين أيدينا الدنيا، فسلبت أراضينا وأخذت مقدساتنا.

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ لسعيد بن عامر: اذهب والياً على حمص.

قال: لا... لا أتولى الولاية، لأنها عسيرة عليّ.

قال: والله لتولينّ لي إمرة حمص، أتضعون الخلافة في عنقي وتتركونني!

فذهب سعيد واستعان بالله على هذه الولاية.

فلما وصل إلى حمص وكان على حمار يأكل قطعة من لحم فيها عظم ينهسه بيده.

فقال له الناس: هل رأيت الأمير في طريقك؟

قال: أنا الأمير.

قالوا: لا تكذب علينا.

قال: والله أنا الأمير.

قالوا: أمير على حمار.

قال: نعم.

فنزل عندهم.

وكان من عادة عمر أن يطوف على أمرائه ويحاسبهم ويسأل عنهم، فلما أتى إلى أهل حمص جمعهم وأجلس الأمير أمامهم وقال: ما ترون في أميركم وواليكم؟!

قالوا: ما ننقم عليه إلاَّ أربع مسائل.

قال عمر: ما هي؟ اللهم لا تخيِّب ظني فيه.

قالوا: لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار، وله يوم في الأسبوع لا نراه ولا يرانا، ولا يخرج لنا في الليل مهما طرقنا بعد العشاء، ويُغمى عليه أحياناً إذا جلس في مجلس القضاء لفصل الخصومات.

قال: أجب يا سعيد بن عامر، اللهم لا تخيِّب ظني فيه.

قال: يا أمير المؤمنين اعفني.

قال: والله لتجيب.

قال: أما قولهم أني لا أخرج حتى يرتفع النهار، فأنا ليس لي خادم وامرأتي مريضة، فأصلح إفطاري وإفطار أهلي ثم أفطر ثم أتوضأ وأصلي ركعتين ثم أخرج.

وأما قولهم لا أخرج يوماً في الأسبوع، فليس لي خادم فأغسل ثوبي وثوبها في يوم من الأسبوع.

وأما قولهم لا أخرج في الليل، فقد جعلت النهار لهم والليل لربي أصلي وأذكر الله وأقرأ القرآن.

قال: ولماذا يغمى عليك في مجالس القضاء؟

قال: لأني حضرت مقتل خبيب بن عدي فسمعته يقول: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً. فكلما تذكرت ذلك الموقف وأني ما نصرته أُغمي عليَّ.

فازداد رفعة عند عمر.

يذكر الذهبي وابن كثير أن أبا العتاهية دخل على هارون الرشيد وقد بنى في الرقة قصراً جميلاً بديعاً، فنظر إليه أبو العتاهية، فقال هارون الرشيد: ما رأيك يا أبا العتاهية؟

قال: قلت فيه شعراً.

قال: ماذا قلت؟

قال: قلت:

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور

قال: هه - يعني زدني -.

قال:

يُجرى عليك بما أردت مع الغدو مع البكور

قال: هه.

قال:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت إلاَّ في غرور

فبكى حتى أغمي عليه.

والمقصود من هذا أن هذه أمور مسلَّمات عند جمهور الناس، فلا ينقص الناس تحصيل العلوم في الأذهان لكن ينقصهم تطبيقها في الأعيان وفي الحياة.

يقول مسلم في الصحيح: وفد شبيبة على الرسول ﷺ منهم ربيعة بن مالك الأسلمي، فقال لهم ﷺ: «**ألكم حاجة؟**».

فطلبوا حوائجهم... فمنهم من طلب رزقاً... ومنهم من طلب تمراً... ومنهم من طلب مالاً... إلاَّ ربيعة بن مالك قال: يا رسول الله أريد مرافقتك في الجنة.

قال: «**أو غير ذلك**»؟.

قال: هو ذاك.

فقال ﷺ: «**فأعنّي على نفسك بكثرة السجود**».

فمن يريد الجنة. . . يُكثر من السجود لله.

وفي البخاري: أن عبد الله بن عمرو الأنصاري لما أتت معركة أحد اغتسل وودّع أطفاله وزوجته وبناته، وأتى إلى معركة أُحد فكسر غِمد سيفه على ركبته وقال: اللهم خذ من دمي اليوم حتى ترضى. . . فقُتل في سبيل الله وضرب بأكثر من ثمانين ضربة، لكنها في سبيل الله؟

إن كان سرَّكم ما قال حاسدنا   فما لجرح إذا أرضاكم ألم

قال جابر ـ ابنه ـ: فأتيت إلى الرسول ﷺ وأنا أسأل عن أبي؛ فقلت: أين أبي يا رسول الله؟

قال: **«هو ذاك»**.

قال: فأخذت أبكي.

قال ﷺ: **«ابك أو لا تبكي، والذي نفسي بيده يا جابر ما زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته. . . والذي نفسي بيده يا جابر لقد كلَّم الله أباك كفاحاً بلا تُرجمان فقال تمنَّ.**

قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً.

قال: فإني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون. . . فتمنّ.

قال: أتمنى أن ترضى عني فإني قد رضيت عنك.

قال: **فإني قد أحللت عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً»**.

نسأل الله رضوان الله.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلاَّ التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخيرٍ طاب مسكنه   وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
فاعمل لدارِ غداً رضوان خازنها   والجار أحمد والرحمن بانيها

قصورها ذهب والمسك طينتها   والزعفران حشيش نابت فيها

يذكر أبو نعيم وأمثاله في كتب السير أن عابداً من بني إسرائيل شابت لحيته وعمره ثمانون، فنظر إلى شيب في رأسه... ثم قال: يا رب أطعتك أربعين سنة ثم عصيتك أربعين سنة فهل تقبلني إذا تبت إليك.

فسمع هاتفاً يقول: أطعتنا فأحببناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإذا عُدت إلينا قبلناك. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

ومن شبَّ على شيء شاب عليه، ومن عاش على شيء مات عليه، ومن قضى حياته في اللهو مات على اللهو.

يقول ابن القيم في كتاب (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي): حضرت الوفاة رجلاً كان مطبلاً مغنياً مزمراً، فقالوا له: قل لا إله إلاّ الله... وهو في سكرات الموت.

قال: أين الطريق إلى حمّام منجاب!.

قالوا: قل لا إله إلاّ الله.

قال: أين الطريق إلى حمام منجاب!!

فمات على ذلك، نسأل الله العافية.

ويقول ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضَرين: قالوا لرجل من التجار: قل لا إله إلاّ الله.

قال: خمسة في ستة كم تصير؟

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

يا أيها الإخوة الأخيار، إن من المؤلم لقلوبنا ضياع أوقاتنا عند الكبار والصغار إلاَّ من رحم ربك، والله يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾. فنعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ.

تجد الإنسان صحيحاً فارغاً ولا ذكر عنده ولا قرآن ولا عبادة.

يذكر الذهبي وابن كثير بأسانيد صحيحة أن الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة كان يصلي في اليوم والليلة ثلاثمائة ركعة.

وكان خالد بن معدان يسبِّح في اليوم مائة ألف تسبيحة... وذكروا عن الأئمة عجباً، ومن أراد أن يطالع شيئاً من ذلك فليقرأ سير أعلام النبلاء ليجد عبادة السلف وليجد كيف أنهوا أعمارهم في طاعة الله وكيف تقرّبوا إلى الله.

الأمر الثاني الذي أحب أن تنتبهوا إليه جيداً هو تجديد التوبة دوماً وأبداً.

يقول ابن عباس: أصبِحُوا تائبين، وأمسوا تائبين، فإنكم لا تنفكون من ذنب.

وجد من الأجيال والشباب من بلغ الأربعين وهو لا يعرف المسجد ولا يعرف التوبة، ومنهم من ألغى صلاة الجماعة من حياته. ومنهم من ألغى صلاة الفجر من برنامجه اليومي.

حضرت الأعمش الوفاة فبكت ابنته.

فقال: ابكي أو لا تبكي، والله ما فاتتني تكبيرة الإِحرام في الجماعة خمسين سنة.

وسعيد بن المسيب يقول في سكرات الموت: والله ما أذَّن المؤذن من أربعين سنة إلاَّ وأنا في مسجد الرسول ﷺ.

عبّاد ليل إذا جَنَّ الظلام بهم كم عابد دمعه في الخدِّ أجراه
وأُسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبُّوا إلى الموت يستجدون رؤياه

وعند الترمذي بسند صحيح قال ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع (وذكر:) عمره فيما أبلاه...**»، فأين صرفت الدقائق والثواني؟

﴿هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

أسأل الله لي ولكم الثبات، وأن يجعل حياتنا في مرضاته، وأن يجعلنا ممّن يستعد ليوم تشيب منه الولدان... وممّن يتدارك عمره ويفني ساعاته في مرضاة الله. وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

الطامة الكبرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

الطامة الكبرى في القرآن وفي السنة هي يوم القيامة، ويوم العرض الأكبر على الله.

وهي القضية الكبرى التي عالجها ﷺ للوثنيين من العرب لأنهم فهموا كل شيء إلاَّ الطامة الكبرى، وعرفوا كل شيء إلاَّ الطامة الكبرى.

لقد فهموا كل الجزئيات إلاَّ قضيتين اثنتين: قضية الإلهية، وقضية اليوم الآخر فأنكروهما تماماً.

﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول سبحانه وتعالى وهو يعالج هذه القضية ويدمغ أدمغتهم بهذه الأساسية الكبرى في الإسلام: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

يقول بعض العلماء: كان القرآن يتناول قضية اليوم الآخر على ثلاثة أضرب:

١ ـ إما بضرب الأمثلة.

٢ ـ وإما بالابتداء الجازم.

٣ ـ وإما بالقصص.

فضرب الأمثلة كقوله سبحانه وتعالى وهو يكلم أحد هؤلاء الوثنيين الذين رفضوا أن يؤمنوا بالله وباليوم الآخر ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

فضرب الأمثلة يكون من حياة الناس ومما يراه الناس عياناً بياناً.

وكثيرٌ من الناس يؤمن لكن إيمان الظن بأن الله يبعث من في القبور وليس إيمان اليقين.

وهذه القضية لو آمنا بها حق الإيمان لما كذبنا، ولا غششنا، ولا احتلنا، ولا خادعنا، ولا تأخرنا على الصلوات، ولا أكلنا الربا، ولا فشا فينا الزنا، ولا جعلنا مجالسنا مسارح للغيبة، ولا هتكَ بعضنا عرض بعض، ولا أساء جار إلى جاره، ولا أُخذت حقوق الناس ولا سُلبت أموال الناس لأن هناك يوماً آخر.

قال عمر ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ: والذي نفسي بيده لولا اليوم الآخر لكان غير ما ترون.

أي: لتغيرت الموازين ولسطا القوي على الضعيف ولهتك الظالم عرض المظلوم.

وأما القصص في البعث والنشور فهي كثيرة في القرآن... وما أجملها من قصص!.

يقول بعض أهل السير: دخل عمر ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ

المسجد في خلافته وبيده درّة، وإذا برجل كبير السن يحدث الصحابة على كرسي من خشب في مسجد الرسول ﷺ.

فقال عمر: من هذا؟

قالوا: قاص.

قال: بماذا يقص؟

قالوا: يقص على الناس من كتب دانيال (رجل غبر في التاريخ).

فأخذ عمر دِرَّته وتقدم إلى الرجل فضربه على رأسه وقال: ويلك! يقول الله عزَّ وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، وأنت تقص قصص دانيال على الناس.

فاسمع إلى أحسن القصص في قضية البعث والنشور وفي قضية الطامة الكبرى... يقول تعالى:

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

هذا رجل من بني إسرائيل قيل: صالح، وقيل: نبي على اختلاف بين المفسرين، المقصود أنه مرَّ بحماره على قرية بين بيت لحم وبيت المقدس وكان عهده بالقرية أنها حيةٌ أطيارها وحيواناتها وبشرها وحدائقها وبساتينها... فلما رآها قد هلكت فنظر إليها وقلّب طرفه في السماء وضرب يمناه بيسراه وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

فأراد الله أن يجري قضية الإماتة والإحياء عليه ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾.

عند بعض المفسرين: أن الله أماته ضحىً وبعثه بعد مائة سنة في وقت العصر فلما انتبه عصراً ظن أنه ما نام إلاّ من الصباح إلى العصر

فقيل له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾. ثم أدركه الورع فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، قال الله له: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قيل: كان عنده في خرجه على حماره لحمٌ وعنب وطعام الله أعلم به فمكث الطعام مائة سنة لم يتغير.

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قيل: إنه لما قام بحث عن حماره فوجد الجلد قد أصبح بالياً، فأراه الله أنه قد أصبح في عالم آخر وقد صار رماداً ورفاتاً ليريه الله عزَّ وجل كيفية الإحياء بعد أن أراه كيفية الموت، فأعاد له حماره كما كان خلقاً سوياً ثم قال له: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. انتبه لا يخالجك ذرة من شك أو ظن أو أوهام في قدرة الله.

عباد الله... قضية اليوم الآخر هي القضية الكبرى التي أتت بها الرسل بعد قضية التوحيد، فالقرآن يقرن كثيراً بين التوحيد والإيمان بالله وباليوم الآخر لأنه القضية التي متى ما رسخت في القلوب والعقول صلحت الأمة بإذن الله.

خرج إبراهيم عليه السلام إلى ضفاف نهر فرأى بقرة منحورة على شاطىء الماء، وقد أتت النسور والغربان والذئاب والكلاب تأكل من هذه الفريسة.

فقال: يا ربي أنت تعيد الخلق يوم القيامة وتعيد الحيوانات فكيف تعيد هذه البقرة؟ لأن لحمها أصبح في بطون السباع والطيور... فذكر الله لنا قصته في القرآن.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ هو لم يشك لكن كما قال ﷺ: «**ليس الخبر كالمعاينة**»(١). وعند البخاري في كتاب الأنبياء يقول ﷺ: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام**».

---

(١) رواه أحمد، وصحّحه الألباني في المشكاة (٥٧٣٨).

والمعنى عند المحدثين على طريقتين:

قيل: لو كان إبراهيم يشك فمن باب أولى أن نشك نحن لأنّا أقل إيماناً منه وهذا على وجه التواضع.

وقيل: ما دام أن هذا الشك قد خاطر قلبه فنحن لا نأمن على قلوبنا أن يأتينا وارد مثله.

والمعنى الأول هو الصحيح.

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ يعني آمنت ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فقال الله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قيل: ضمّهن، وقيل: قطِّع رؤوسهن.

فقطع رؤوسها وأخذ الرؤوس في يده ونثر لحومها وريشها وأجنحتها ودماءها على الجبال ثم نزل في السهل وقال: تعالي بإذن الله.

فأتت العظام وأتى الريش والأجنحة وتركّب كل طائر في رأسه ورفرف وطار.

قال الله: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فلماذا لم يقل: واعلم أن الله على كل شيء قدير، قيل: لأن إبراهيم عليه السلام يعلم أن الله على كل شيء قدير.

● يقول ابن كثير في كتابه البداية: مرَّ عمر - رضي الله عنه وأرضاه - يوماً فسمع أبيّ بن كعب يقرأ بالناس قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فوضع الدِّرَّة من يده ووقع على الأرض وحُمل إلى بيته ومرض شهراً كاملاً.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ألّف ابن وهب كتاباً في أهوال يوم القيامة فأتى يقرؤه على الناس فسقط مغشياً عليه ثلاثة أيام ثم مات في اليوم الرابع.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وتنكير اليوم تعظيم له فهو يوم وأيّ يوم.

وهذا هو أسلوب القرآن كلما أراد أن يذكر اليوم الآخر يؤكد الرجعة قال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ يقول بعض المفسرين بأن سبب نزول هذه الآية: أن أبا جهل عليه غضب الله قال: يزعم محمد أن لربه تسعة عشر من الملائكة فأنا أكفيكم عشرة وأنتم اكفوني تسعة!

فقال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾.

وقيل: بل هذه القصة سبب لقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

وقال سبحانه وتعالى راداً على من يظن أنه سيأتي يوم القيامة بماله وأولاده: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾.

ويقول سبحانه عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

قال أحد المفسرين: نعرض مكشوفين، فالسرائر والضمائر مكشوفة والجسم مكشوف والتاريخ مكشوف والسجلّ مكشوف لله رب العالمين.

أتى أعرابي إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله أين ألقاك يوم الزحام. يعني يوم العرض الأكبر؟

قال ﷺ: «**في إحدى ثلاث مواطن لا أغادرها: إما عند الصراط،**

أو عند تطاير الصحف، أو عند الميزان» أو كما قال ﷺ[1].

ويؤخذ من هذا الحديث أن علم الصحابة كان علم اليقين، وأما علمنا فظن، والفارق بيننا وبينهم أنّا نسمع عن اليوم الآخر ولكنّا لا نعمل ولا نكدح لهذا اليوم... بخلاف الصحابة الذين جعلهم هذا العلم يستعدون بل ويشتاقون لذلك اليوم.

فهذا اليوم هو الذي جعل جعفراً الطيار ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ يأتي إلى مؤتة فتقطع يمينه وتقطع يساره ويحتضن العلم ويقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

وهو الذي جعل أنس بن النضر يقول لسعد بن معاذ: إليك عني والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة من دون أُحد.

قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾.

والرسول هنا للعهد وهو محمد ﷺ.

فيقول الظالم يا ليتني اتخذته إماماً وقدوة، لأن الله أغلق أبواب الجنة بعد مبعثه ﷺ فلا تُفتح إلاّ من بابه.

قال ابن تيمية: من اعتقد أنه سوف يهتدي بهدي غير هدي الله الذي أرسل به محمداً ﷺ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا كلاماً، ولا ينظر إليه ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

وهذا هو الحق، لأن الله يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾، وعند مسلم في

---

(١) رواه أحمد.

الصحيح قوله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلَّا دخل النار»**.

ويقول الشاعر:

يا مدَّعي حب طه لا تخالفه الخُلفُ يحرم في دنيا المحبينا
أراك تأخذ شيئاً من شريعته وتترك البعض تدويناً وتهوينا
خذها جميعاً تجد فوزاً تفوز به أو فاطرحها وخذ رجس الشياطينا

ثم قال: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾، قيل: هم جلساء السوء وأدعياء الضلالة وعصابات الإِجرام الذين وقفوا في طريق الأنبياء فصدُّوا الجيل عن بيوت الله.

ويقول سبحانه عن الطامة الكبرى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة عندما يأتي أهل الدنيا والأعمار الطويلة والساعات الفارغة التي صرفوها في الغناء الماجن، وفي الغيبة والنميمة، وفي شهادة الزور، ومتابعة السهرة الحمراء والمجلة الخليعة والصد عن منهج الله، فيقول الله لهم في آية أخرى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾.

دُفِن المهدي الخليفة العباسي وكانت ميزانيته كما يقول الذهبي: ثلاثمائة ألف ألف دينار ثم سُلب في صباح يوم باكر قيل: إنه شرب ماء بارداً فشرق!

فقال أبو العتاهية يشيّعه:

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوحُ لتموتن وإن عمرت ما عمّر نوحُ

ثم جاء بعده هارون الرشيد فبنى قصره في الرقة... قصراً جميلاً جديداً وستره بالستور وجعل فيه الحدائق والزهور وأجرى فيه الماء ووضع فيه الحيوانات والطيور ثم قال للشعراء: ادخلوا القصر.

فدخل أبو العتاهية مع الشعراء فقال لهارون الرشيد:

عش ما بدا لك سالماً   في ظل شاهقة القصور

قال: هيه... يعني زد.

قال:

يُجْرى عليك بما أردت   مع الغدو مع البكور

قال: هيه... يعني زد.

قال:

فإذا النفوس تغرغرت   بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً   ما كنت إلاَّ في غرور

قالوا: فخلع الستور ونزل من القصر وسكن بغداد.

والوليد بن عبد الملك لما جاءته سكرات الموت أخذ يقول: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾.

أما أهل التقوى وأهل البصيرة فإنهم لا يقولون إلاَّ كل حسن في مواقف الموت:

لما حضرت الوفاة سعيد بن المسيّب بكت ابنته فقال: يا بنتي... لا تبكي عليّ، فوالله ما أذَّن المؤذن من أربعين سنة إلاَّ وأنا في مسجد محمد ﷺ.

والأعمش سليمان بن مهران الراوية الكبير في الكتب الستة لما حضرته الوفاة قال لابنته: لا تبكي عليّ، فوالله ما فاتتني تكبيرة الإِحرام في الجماعة ستين سنة.

فهذه هي المؤهّلات التي تنجي أصحابها يوم الطامة الكبرى.

فالطامة الكبرى عرفها قومٌ معرفة اليقين، وعرفها آخرون معرفة الظن.

فأما الذين علموا هذه القضية علم اليقين فحافظوا على الصلوات الخمس وبرّوا مع الله ووصلوا الأرحام وأحسنوا إلى الجيران وصدقوا وأكثروا من ذكر الله واجتنبوا الحرام.

وأما أهل الظن فإنهم يصلون ربما مع الناس ويصومون ربما مع الناس، ولكنهم أهل فجور وتعدٍّ لحدود الله وانتهاك لحرماته.

في صحيح البخاري أن الرسول ﷺ تناول ذراع الشاة فنهس منه نهسة فقال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة أتدرون لماذا**»؟.

قالوا: لا ندري يا رسول الله، الله ورسوله أعلم.

قال: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يقوم الناس إلى آدم فيقولون: يا آدم اشفع لنا عند ربك أما ترى ما نحن فيه؟**» أو كما قال ﷺ.

«**فيقول: نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم.**

فيأتون إبراهيم فيعتذر ويقول: نفسي نفسي.

فيأتون موسى فيعتذر.

فعيسى فيعتذر.

فيأتون الرسول ﷺ.

فيقول: أنا لها أنا لها»(١).

قال الحكمي رحمه الله:

---

(١) متفق عليه.

واستشفع الناس بأهل الكرم في إراحة العباد من ذا الموقف
وليس فيهم من رسول نالها حتى يقول المصطفى: أنا لها

وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، وهو الذي ندعو به له في أدبار كل أذان فنقول: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد**».

يقول ﷺ في الصحيح: «**إذا جمع الله عزَّ وجل الناس يقول الله يوم القيامة للإنسان: يا ابن آدم جعتُ فلم تطعمني.**

قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً بن فلان جاع فما أطعمته، أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي.

يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني.

قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً بن فلان مرض فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدت ذلك عندي»(١).

وفي هذا الحديث فوائد:

منها: أن من فعل خيراً وجده عند الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

ومنها: أن أقرب الناس من رب الناس أنفعهم للناس. وفيه حديث يحسنه مثل السخاوي: «**الخلق عيال لله ـ عزَّ وجل ـ وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وضعّفه الألباني في المشكاة (٤٩٩٨).

فالطامة الكبرى كانت قضية متحركة في أذهان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وفي أذهان السلف.

يُذكر عن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ أنه مكث يردد: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾. فهي الطامة التي لا أكبر منها، وهي التي أعظم من غيرها، وهي التي تطمّ بهولها على الناس.

ويقول سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ وهي التي تصخُّ الآذان بصوتها ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾.

والزاد هناك تقوى الله عزَّ وجل.

ويقول سبحانه: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ وسميت القارعة لأنها تقرع القلوب بهولها كما قال ابن كثير وغيره من المفسرين.

وتقرع أبواب السلاطين والأغنياء والكبراء وتقرع أطراف الدنيا.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ يقول أهل العلم: إذا قال الله للرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فإنه سوف يخبره، وإذا قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فإنه لن يخبره.

ثم أخبر عن بعض أهوالها فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾.

فنسأل الله أن يثبتنا وإياكم... فإن الثبات في الحياة وعند الموت وفي اليوم الآخر من أهم مطالب الصالحين، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

يتحدث ابن القيم في الجواب الكافي عن سوء الخاتمة ـ والعياذ بالله ـ للمجرمين الذين يخذلهم الله بأعمالهم.

فقال: ذكروا أن رجلاً حضرته سكرات الموت فقالوا له: قل لا إله إلاَّ الله.

قال: أين الطريق إلى حمام منجاب!

قالوا: قل لا إله إلاَّ الله.

قال: أين الطريق إلى حمام منجاب.

فسألوا عنه فوجدوه مطبلاً مغنياً طروباً لاغياً لاهياً لا يعرف كتاب الله ولا فرائض الله.

ويقول ابن أبي الدنيا في كتاب (المحتضَرين): حضروا رجلاً من التجار انهمك في الدنيا وفي فجور الدنيا فقالوا: قل لا إله إلاَّ الله.

قال: ٥×٦ كم تصير!!

قالوا: قل لا إله إلاَّ الله.

قال: ٥×٦ كم تصير!!

وأما الصالحون فإن الله يثبتهم في مثل هذا الموقف بحوله وقوته:

حضرت أبا زرعة الوفاة فأُغمي عليه ولم يقل: لا إله إلاَّ الله فخاف أبناؤه وتلاميذه وبكوا عليه.

قالوا: سبحان الله! يغمى عليه وهو المحدث ولم يفق، لا إله إلاَّ الله.

فاستفاق فقالوا: دعونا نذكّره بحديث معاذ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلّا الله دخل الجنة**» وهو ـ أي أبا زرعة ـ يروي الحديث من عشرة طرق.

فأخطأوا في السند!

فجلس أبو زرعة وقال: حدثنا هشيم قال: حدثنا فلان عن فلان عن معاذ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلَّا الله دخل الجنة**»(١).

ثم مات، وهذه من كرامات الأولياء وهي من التثبيت لعباد الله الصالحين، فنسأل الله أن يثبتنا وإياكم يوم يُضل الله أعداءه.

● أمور تعين على التزود للطامة الكبرى:

أيها الفضلاء، إن مما يعين على التزود للطامة الكبرى عدة أمور:

أولًا: الإخلاص في العمل بأن تقصد به وجه الله وتحذر من الرياء فيه، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾. ويقول عزَّ من قائل في الحديث الصحيح: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من أشرك معي في عمل تركته وشركه**»(٢)، لأن الله لا يقبل من العمل إلَّا ما كان خالصاً.

قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ والعمل الحسن هو ما جمع شرطين:

١ ـ أن يكون خالصاً لله كما سبق.

٢ ـ أن يكون موافقاً لشريعته ﷺ لقوله ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**» متفق عليه.

ثانياً: أن تُكثر من السجود، فعند مسلم عن ربيعة الأسلمي أنه قال للرسول ﷺ: أريد مرافقتك في الجنة.

---

(١) رواه أبو داود (٣١١٦)، والحاكم وقال: صحيح الإسناد (١/٣٥١).

(٢) رواه مسلم.

فقال ﷺ: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**». وعند مسلم من حديث ثوبان: «**فإنك لن تسجد لله سجدة إلَّا رفعك بها درجة**».

ثالثاً: كثرة الذكر ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾. وعند الترمذي أن عبد الله بن بُسر قال للنبي ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فدلني على عمل أتشبث به.

فقال ﷺ: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله**».

رابعاً: قصر الأمل في الحياة الدنيا.

قال ابن عمر: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.

وقال الربيع بن خيثم: أنا أتحرى الموت مع الأنفاس.

ولما بلغ سفيان الثوري الستين اشترى كفناً.

وقال: حقٌّ على المسلم إذا بلّغه الله الستين أن يشتري كفناً.

خامساً: تجديد التوبة في كل حين. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فإن العبد كلما أكثر من التوبة فإن الله يغفر له ذنبه لأن هذا دليل على إخباته وخوفه من ربه وقد ثبت في الحديث الصحيح: «**خير الخطائين التوابون**»(١).

وعند أبي يعلى: أن الشيطان يقول: أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلاَّ الله والاستغفار.

سادساً: رد الحقوق والمظالم إلى أهلها قبل أن لا يكون درهم

(١) صحيح ابن ماجه (٣٤٢٨).

ولا دينار فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من اقتطع حق امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**».

قالوا: ولو كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟

قال: «**ولو كان عوداً من أراك**»![1].

أخيراً... أسأل الله لي ولكم الفوز يوم الطامة الكبرى والدخول في جنات الذي على العرش استوى. والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

(١) رواه مسلم.

الطريق الأخضر

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء، إن الله على كل شيء قدير.

الحمد لله الذي أرسل محمداً ﷺ فكسر بدعوته ظهور الأكاسرة، وكسر بمبادئه آمال القياصرة، الذين طغوا وبغوا حتى أرداهم ظلمهم في الحافرة.

والصلاة والسلام على حامل لواء العز في بني لؤي، وصاحب الطود المنيف في بني عبد مناف بن قصي.

صاحب الغرَّة والتحجيل المذكور في التوراة والإِنجيل.

الطريق إلى الجنة قد سلكه محمد ﷺ.

وبَيّنه رسول الهدى ﷺ يوم قال له الشاب الأنصاري: يا رسول الله، لا تمنعني دخول الجنة، فوالله الذي لا إله إلاَّ هو لأدخلنّ الجنة.

فيتبسم ﷺ، ويقول: «**بم تدخل الجنة؟**».

ما هي مؤهلاتك لدخول الجنة؟

قال: بخصلتين، بأني أحب الله ورسوله، ولا أفرّ يوم الزحف.

فدمعت عيناه ﷺ وقال: «**إن تَصْدُقِ الله يصدُقك**».

ودارت المعركة وقُتل شهيداً وأصبح من أهل الجنة إن شاء الله لأنه صدق الله[1].

وفي صحيح مسلم من حديث ربيعة بن مالك الأسلمي ذاك الشاب المتوقد إيماناً الذي يريد الجنة يقول: يا رسول الله أريد مرافقتك في الجنة.

فيقول ﷺ: «**أو غير ذلك؟**» أتريد هذا؟ أأنت عازم على هذا الطريق؟

قال: هو ذاك يا رسول الله.

قال: «**فأعنّي على نفسك بكثرة السجود**».

فطريق الجنة هو كثرة السجود.

ويأتي ثوبان كما في صحيح مسلم يروي لنا حديثاً فيقول له ﷺ: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلّا رفعك بها درجة**».

الطريق إلى الجنة طريق لا يعرفه إلاّ الخواص من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أتباع رسول الله ﷺ.

والله أغلق الجنة فلا تفتح بعد رسالته ﷺ إلاّ من طريقه.

فمن سوّلت له نفسه أو اعتقد أنه سيدخل من طريق غير هذه الطريق أو يهتدي بهدي غير هدي الله الذي أرسل به محمداً ﷺ فعليه

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/٦١٣).

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ما معناه: كل أرض لم تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة، وكل قلب لم يهتدِ بهذا الدين فهو قلب مغضوب عليه.

ولذلك يقول معاذ، وكلكم يعرف معاذاً، ذاك الذي عاش العلم والقوة والحب والإيمان والطموح، معاذ التاريخ ومعاذ الأمة.

يقول: سرت مع الرسول ﷺ في الليل الدامس في الليل الداجي في آخر الليل.

والرسول ﷺ كان له وِرد من القيام في آخر الليل يناجي في ليله ربه ويشكو لربه ذنوبه وخطاياه وتقصيره وهو سيد الخلق وأعرف الناس بربه ومولاه.

والليل عجيب! الليل يحب القرآن والقرآن يحب الليل.

قلت لليل هل بجوفك سر عامر بالحديث والأسرار
قال لم ألق في حياتي حديثاً كحديث الأحباب في الأسحار

قال معاذ: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته يدخلني الله الجنة، ويباعدني عن النار.

ما أحسن السؤال!

فهذا سؤال من أعظم الأسئلة التي وردت في العالم كل العالم.

فقال ﷺ: «**لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يَسّره الله عليه**».

فيا من يَسَّر للصالحين طريقهم... يَسِّر لنا طريقنا، فالعون منك والسداد والهداية منك وحدك.

قال: «**لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه**» وهذا يسمَّى الإِجمال في الجواب قبل التفصيل وهو أسلوب قرآني.

ويسمَّى اللف ثم النشر عند أهل البلاغة.

ثم قال: «**تعبد الله عزَّ وجل ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**».

ثم قال له ﷺ وهو يواصل حديثه الشائق الرائق إلى القلوب الوالهة يقول: «**ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإِسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**».

ثم يواصل ﷺ في بيان طريق الجنة فيقول: «**ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة**»، أي وقاء لك تجتن به وتتحصن به من النار.

ولذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

وكان مجَنِّي دونما كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

«**الصوم جُنَّة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل**»، ثم تلا ﷺ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ثم قال ﷺ ليختتم باللف بعد النشر وبالإِجمال بعد التفصيل: «**ألا أدلك على ملاك ذلك كله**»؟ أي: على ما يجمع لك شتات هذا الموضوع.

قال: بلى يا رسول الله.

قال: «**كف عليك هذا**». وأخذ ﷺ بلسان نفسه.

قال معاذ: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟

قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ**» أيخفى عليك هذا؟ والخطايا كلها من

اللسان. «**وهل يكبُّ الناسَ في النار على مناخرهم أو على أنوفهم إلَّا حصائد ألسنتهم**»[1].

فيا من يريد الجنة... هذا هو طريق الجنة الذي وصفه ﷺ.

فإن الجنة مغلقة بعد مبعثه ولا يُدْخل إلى الجنة إلاَّ من طريقه ﷺ.

والرسول ﷺ فتح للناس كافة المستويات ليدخلوا بها الجنة.

وقل لبلال العزم من قلب صادق   أرحنا بها إن كنت حقاً مصليا
توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً   به تلقَ أبواب الجنان الثمانيا

في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للجنة أبواباً ثمانية فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريَّان، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد**»، إلى آخر تلك الأبواب.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، ألا يُدعى أحد من كل الأبواب الثمانية؟

هو يريد أن يُدعى من الأبواب جميعاً.

من لي بمثل سيرك المدلَّل   تمشي رويداً وتجيء في الأول

هو يريد المركز الأول في الطاعات دائماً.

إن كان من الذاكرين فهو الأول.

ومن المجاهدين ففي محل الصدارة.

ومن العابدين هو الجبين.

---

(١) رواه الترمذي (٢/١٠٣)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤١٣).

ومن القادة والفاتحين هو الموجه والسيف الشهير على أعداء الله.

فيتبسَّم ﷺ ويقول: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**».

إذاً... فمن الناس من يُدعى من أبواب كثيرة على حسب طاعته وتقواه وعلى حسب سلوكه إلى طريق الجنة.

ولكن البعض يرضى بآية ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

وبعضهم من المخذولين كغلاة التصوف قالوا: نحن لا نعبد الله عزَّ وجل طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره.

فلماذا تعبدونه ثكلتكم أمهاتكم؟

أتعبدونه زندقة؟

أم تلهياً؟

أم تلاعباً؟

قالوا: نعبده حبًّا!

قلنا: لكن الله عزَّ وجل وصف أولياءه بأنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً.

والله يقول لأوليائه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، والله سبحانه وتعالى يقول لأصفيائه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

وقال ﷺ قبل معركة بدر: «**يا أهل بدر إن الله اطَّلع عليكم فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، والله يا أهل بدر ما بينكم وبين الجنة إلَّا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة**».

فيقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله ما بيننا وبين الجنة إلاَّ أن يقتلنا هؤلاء؟

قال: نعم والذي نفسي بيده.

فألقى التمرات من يده وخلع درعه من على جنبيه وأخذ سيفه فكسره على ركبته فقاتل حتى قُتل[1].

وليس على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

ويأتي جعفر الطيار فيقف في مؤتة وقد ترك زوجته وأهله وماله وشهرته ومنصبه وباع كل شيء وأتى بروحه إلى الواحد الأحد.

والذي يُهدي روحه ليس كالذي يُهدي عشرة أرْيُل.

فالذي يهدي روحه أجود الناس.

والذي يسكب دمه أكرم الناس.

فلما رأى الروم نظر إليهم بكثرتهم ولكنه تطلع إلى ما بعد الروم وهي الجنة فأخذ الغمد وكسره على ركبته وقال:

يا حبذا الجنة واقترابها
طيِّبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إن لاقيتها ضِرابها

وصدق مع الله فقطعت يداه، فاحتضن الراية بجناحيه فضُرب حتى استُشْهد رضي الله عنه.

---

(١) رواه مسلم، وانظر: الإصابة (٧/ ١٦٢).

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

وخُبيب بن عدي يأخذه الكفار أسيراً فيدخلونه بيتاً غير مسقوف لتصهره الشمس.

ولكن إيمانه يخفف الضيق عنه.

ويأتي الجوع ولكن إيمانه يُشبعه.

ويأتي الظمأ ولكن إيمانه يرويه.

تقول إحدى النساء من اللواتي كنّ قريباً من خبيب: رحم الله خبيباً، والله لقد كنت أنظر إليه وقد حُصر في مكة في بيت خالٍ وإنه ليأكل قطاف العنب بين الحين والآخر.

فهو كما قال سبحانه عن مريم ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وخرج إلى ساحة الإعدام لتأتي ساعة الصفر في حياة المسلم يوم يستعلي على كل شيء.

وخرج أهل مكة ليقتلوه ويتلذذوا برؤية جثمانه مصلوباً.

أسرقهم؟

أقتلهم؟

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾.

فاجتمعوا في جمع حاشد في ضاحية من ضواحي مكة فقال لهم: أريد أن تمهلوني لأصلي ركعتين.

قالوا: صلِّ ركعتين.

فقام يتوضأ وهو يعرف أن الموت سيكون بعد ركعتين.

فصلَّى الركعتين ثم سلَّم سريعاً وقال: والله الذي لا إله إلاَّ هو لولا أن تقولوا أني أطلت جزعاً من الموت لطوَّلت صلاتي.

ثم قال: اللهم أخبر رسولك ما نلقى الغداة.

وفي سيرة موسى بن عقبة بسند صحيح أنه كان ﷺ وهو في المدينة وخبيب في مكة يقول: «**السلام عليك يا خبيب... السلام عليك يا خبيب... السلام عليك يا خبيب**».

ثم قال خبيب داعياً على المجرمين: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً»(١).

فرفعوه إلى مشنقة الموت.

فهل بكى؟

لا... لأن الأبطال لا يبكون في ساعة الصفر.

هل جزع؟

لا... لأن الأبطال لا يجزعون ساعة الموت.

بل قال منشداً:

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإِله وإن يشأ ... يُبارك على أشلاءِ شلوٍ ممزَّع

ثم قُتل... ولكنه حي عنده سبحانه وتعالى مع الشهداء إن شاء الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥).

ومن الذين عرفوا طريق الجنة وعرّفوا الناس بطريق الجنة إلى الله تبارك وتعالى عبد الله بن المبارك الذي سمع بداعي الجهاد في الشمال في خراسان فترك الحرم وأخذ بغلته وركبها.

فقال له الناس: ابق في الحرم فالصلاة الواحدة بمائة ألف صلاة فيما سوى الحرم.

قال: لا.

بغض الحياة وخوف الله أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمنا
إني وزنت الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا

هؤلاء هم الذين عرفوا طريق الجنة، أما من أضاع طريقها وضلَّ عن معالمها، فإنهم لا يتذكرونها إلاَّ ساعة الندم ولحظة الموت.

كان هارون الرشيد يقلِّب وجهه في الأرض عند موته وينظر إلى جيشه العظيم ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

والمعتصم ابنه لما جاءته السكرات قال: أموت الآن؟ قالوا: نعم. ظن أن الموت للعجائز وكبار السن، فبكى وقال: والله لو كنت أعلم أني أموت اليوم ما عملت ما عملت.

وغيرهما كثير، نسأل الله العافية، وليس هذا مبحثنا.

وطريق الجنة ليس للرجال فحسب لأن في الجنة مجالاً للنساء.

والله عزَّ وجل يقول بعد أن ذكر الأولياء والأخيار: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾.

والرسول ﷺ يقول: «**المرأة إذا صلَّت خمسها، وصامت شهرها وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها**»[1].

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية، وصحَّحه الألباني في المشكاة (٣٢٥٤).

لأن المرأة المسلمة هي نصف المجتمع يوم أن تتقي الله في رسالتها.

ويوم أن تعرف أن طريق الجنة لا يمكن أن يتحقق إلاَّ بطاعة الله الواحد الأحد ثم في طاعة زوجها.

ويوم تعلم أن سترها وعفافها ستر للإِسلام ولهذا الدين، وأن بقاءها في بيتها نصرة لهذه المبادىء الخالدة.

والمرأة يوم تخجل من الواحد الأحد أن تتبرج أمام الأجانب، ويوم تحفظ زوجها بالغيب وهي حافظة وراعية ومحاسبة على ذلك.

والمرأة يوم تربي العلماء والأدباء والشهداء والصدِّيقين في بيتها ستكون بحول الله ممن سار على طريق الجنة.

فجزى الله الأمهات خير الجزاء يوم يكنّ حاملات للمبادىء الأصلية.

ويوم يكن مصليات صائمات عفيفات متَّقيات للواحد الأحد كعائشة وأسماء.

منا الفواطم ربات العلا ولنا   كل الزيانب هم أهل وجيران

عائشة رضي الله عنها أعطاها معاوية بن أبي سفيان مائة ألف درهم فتصدقت بها وهي صائمة.

فقالت لها جاريتها: لماذا لم تبقي لنا درهماً أو درهمين نشتري لك لحماً لتفطري عليه؟!

قالت: نسيت نفسي لماذا ما ذكرتني!

أيها المسلمون... إن من أراد الجنة وأراد أن يدل على طريقها فعليه بأمور:

أولًا: أن يكون دليله في هذا كتاب الله عزَّ وجل وسنّة رسوله ﷺ.

ثانياً: أن يكون ليناً في دلالته ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ ويقول الله للداعية الكبير ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

ويقول: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

أسمعت بأشد من فرعون إجراماً في المعمورة؟

لقد أرسل الله له موسى فوصَّاه وأخاه هارون وهما في الطريق ذاهبان إلى ذاك الطاغية بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

إننا يوم ندعو الناس رجالاً وإناثاً... كباراً وصغاراً... رؤساء ومرؤوسين إلى طريق الجنة لا بد أن ندلَّهم على الطريق ونحن رحماء ليِّنين سهلين.

قال ﷺ في الصحيح لما أرسل أبا موسى ومعاذاً: «**بشّرا ولا تنفِّرا، ويسِّرا ولا تعسِّرا**»(١)، والدليل الماهر لا ينفِّر القلوب.

والموجِّه لا يخدش الكرامات.

والداعية لا يجرح الشعور.

فهو يدل على الجنة لكن بإيمان وحب وطموح.

وعليه أن يتدرج بالناس برفق إلى أن يأخذهم إلى درب الفلاح.

أسأل الله أن يوفقنا إلى طريق الجنة والتمسك به إلى أن ندخلها.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) متفق عليه.

طلاّب الجنة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حتى جاءه اليقين، فصلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيها الناس متى كانت أمة محمد ﷺ ضائعة؟

متى كانت لاهية؟

متى كانت اهتماماتها هوايات؟

متى كان ليلها ضياع ونهارها تفلت على منهج الله؟

متى كنا نجعل الفن هواية والكرة مهمة والرسم إبداعاً؟

متى كان سَقَطَة الناس نجوماً ونجومها مطاردين مبعَدين؟

يوم انطمست معالم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

أيها المؤمنون يا عصبة الرسول محمد ﷺ.

بثكم ربكم شعاعاً من الفجر على رغم من طغى وتمرَّد، فاسمعوا

قصة الوفاء ببدر صاغها من يريد إياك نعبد، جنة الله بشرى بكرام يقرع الباب بالتحية: أحمد، يا معالي، يا فجر، يا تاريخ، يا كل مسلم، يا موحد، يا بطولاتنا.. إذ الكفر ألقى بكلاليبه وأرغى وأزبد، اقرؤوا سيرة الرسول محمد ﷺ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾.

كان أجدادنا رجالاً يحبون الجنة فدخلوا الجنة، فلما أتى خلفٌ من بعدهم تنكروا للجنة فما أحبوا طريقها ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝١٦﴾ فما باعوا أموالهم وأنفسهم لله وما شروا منه السلعة.

خلق الله الجنة فقال: تكلمي.

قالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾(١).

فخلق لها خلقاً قال: أريد أن تدخلوا الجنة.

قالوا: ما الثمن؟

قال: أرواحكم.

قالوا: أين ميدان البيع والشراء؟

قال: المعركة.

قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل.

وأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾.

---

(١) أخرجه الدارمي كما في حادي الأرواح (٨٠).

وأنزل الله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾.

فالمبادىء لا تقوم إلاَّ على رجال.

والمبادىء لا تزرع إلاَّ بدماء.

ولذلك كان معلمنا ﷺ شجاعاً بما تعنيه كلمة الشجاعة من معنى.

وجاء أصحابه شجعاناً.

أبو بكر صدِّيق، وعمر قتيل، وعثمان ذبيح، وعلي ضُرِّج بدمائه.

قُتل من أصحابه ﷺ ثمانون بالمئة.

يقول ﷺ قبل معركة أحد بيوم واحد على المنبر: «**والذي نفسي بيده ما من قتيل يقتل في سبيل الله إلَّا جاء يوم القيامة كهيئته يوم قتل في الدنيا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**». وفي حديث آخر: «**إن الله يقول للشهداء يوم القيامة: من قتلكم؟ قالوا: أعداؤك... قال: فيمَ قُتلتم؟ قالوا: فيك... قال: غفرت لكم**».

وأنا أريد أن أطوف معكم في يوم أُحد لنرى كيف كان أجدادنا وكيف أصبحنا وماذا قدَّمنا للإسلام؟

أين شهداؤنا؟

أين بطولاتنا؟

أين أثرنا في نشر هذا الدين؟

أين الدماء؟ أين الأموال؟ أين السهر؟ أين التضحية؟

لا شيء.

وقف ﷺ قبل أن تبدأ معركة أحد بيوم فاستشار الناس وأعلن القتال على أبي سفيان والمشركين، فاستشار أصحابه ثم قال: ما ترون أيها الناس أنقاتلهم في الطرقات أم نخرج إليهم في جبل أحد؟

فأما كبار الناس فقالوا: يا رسول الله بل نبقى مكاننا في طرقاتنا وفي بيوتنا فإذا دخلوا علينا قاتلناهم، فوافقهم.

ولما انتهى الكلام خرج مجموعة من أصحابه وشبابه ثمانون شاباً فلبسوا السيوف وأخذوا الخوذات على الرؤوس فأتوا ينشدون خارج المسجد بصوتٍ مرتفع.

نحن الذين بايعوا محمداً　　على الجهاد ما بقينا أبدا

ثم هتف شاب في العشرين من عمره فقال: يا رسول الله اخرج بنا إلى أحد لا تحرمنا دخول الجنة، والله لأدخلن الجنة.

فوقف رسول الله ﷺ يسمع لهذا القول الحار والنشيد الغالي فتهتز كل شعرة من جسمه وتفور كل قطرة من دمائه ويعلن أن الجنة قد فتحت أبوابها وأن الله قد تجلّى لعباده، فيقول لهذا الشاب: بمَ تدخل الجنة؟

أين شبابنا في العشرين؟ أصحاب جمع الطوابع، وهوايات المراسلة، وتشجيع النوادي، والسفر إلى الخارج، وتربية الحمام، والصيد بالصقور في الصحراء؟

قال: **بمَ تدخل الجنة؟**

قال: باثنتين، بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف.

فدمعت عيناه ﷺ ورفع يديه وقال: «**إن تصدق الله يصدقك**»(١) ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢//٦٣).

وخرج رسول الله ﷺ للمعركة، وقبل المعركة بساعة سلَّ ﷺ سيفه وقال: **من يأخذ هذا السيف؟**

قال الناس: نحن جميعاً نأخذه.

قال: **من يأخذه بحقه؟**

قال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟

قال: حقه أن تضرب فيه بالكفار حتى ينحني[1].

هل سمعتم بسيف ينحني من الضرب؟ نعم... بكف أصحاب محمد ﷺ.

فأخذه وهو يرتجز:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

فضرب به حتى انحنى ورده منحنياً للرسول ﷺ. وظهرت البطولات وفتحت أبواب الجنة وشاركت الملائكة واندفعت أبواب السماء بكتائب يقودها جبريل، ونزل على جبل أحد وأصبحت القيادة المشتركة بين جبريل ومحمد ﷺ.

بل قال أهل العلم: القائد الأعلى محمد ﷺ.

وبدأ أصحابه يقدمون تضحيات ما سمع التاريخ بمثلها.

لا والله، لا في التاريخ النصراني ولا اليهودي ولا الشيوعي، ولا قبل التاريخ ولا بعد التاريخ، ولا في الجاهلية ولا في الإِسلام، ما سمعنا أن رجلاً قدم شجاعة كشجاعتهم ذاك اليوم.

فلماذا؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٠).

لأنها إما حياة أو موت، إما أن يُزال الدِّين من على وجه الأرض أو ينتصر الحق.

وسوف أعرض نماذج من شباب الله الذين دخلوا جنة عرضها السموات والأرض.

دخل عبد الله بن جحش قبل المعركة لما رأى السيوف تطيح بالرؤوس والرماح تلعب بالأكتاف فقال: يا رب أسألك هذا اليوم أن تلاقي بيني وبين عدوٍ لك شديدٌ حَرَده، قويٌّ بأسه، كافر بك، فيقتلني ثم يبقر بطني ويجدع أنفي ويفقأ عيني ويقطع أذني، فألقاك يا رب بهذه الصورة، فإذا سألتني يوم القيامة لم فعلتَ هذا؟ فأقول: فيك يا رب[1].

وقاتلت معنا الأملاك في أحد | تحت العجاجة ما حادوا وما انكشفوا
سعد وسلمان والقعقاع قد عبروا | إياك نعبد من سلسالها رشفوا
في كفك الشهم من حبل الهدى طرف | على الصراط وفي أرواحنا طرف

واندفع مصعب بن عمير وحمل الراية واستبسل استبسالاً ما سمع الدهر بمثله، فضُرب ثمانين ضربة واستشهد بجانب العلم.

ثم اندفع قتادة بن النعمان وواصل المسيرة فضربه كافر فأسقط عينه اليمنى حتى أصبحت معلقة على خدِّه بعِرْق واحد، فأتى إلى القائد العظيم ﷺ في الصف الأول وقال: يا رسول الله عيني أما تنظر عيني؟

قال: ادن مني. فردها بيده وقال: بسم الله، فعادت أجمل من الأخرى.

ومنا الذي سالت على الخد عينه | فرُدَّت بكف المصطفى أحسن الرد
فصارت على حسن بأحسن حالها | فيا حسن من عينٍ ويا حسن من ردّ

وتقدم سعد بن الربيع وقال: اللهم إني أبرؤ إليك مما فعل

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٩)، وانظر: الإصابة (٤٥٨٣).

المشركون، وأبرؤ إليك مما صنع من انهزم من المسلمين، فقاتل وقُتل فاندفع دمه يجري على الأرض.

وقال ﷺ: أين سعد بن الربيع؟

قالوا: لا ندري يا رسول الله.

قال: يا زيد بن ثابت اذهب فالتمس سعد بن الربيع.

قال زيد: فأتيت فإذا هو في حفرة ودمه قد غطاه في الحفرة، وأصبح في الرمق الأخير مودعاً الدنيا مستقبلاً الآخرة وهو يطل على حياة جديدة وعلى قصور وعلى أنهار وعلى أزهار وعلى مكالمة الله.

قال زيد: كيف تجدك يا سعد؟

قال: يا زيد أبلغ رسول الله السلام وقل له: جزاه الله عنا خير ما جزى به نبياً عن أمته، نشهد أنّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم تبسم ومات(١).

ثم تقدَّم أنس بن النضر ففتك بالأعداء فتكاً عجيباً، فلما ضُرب سال دمه وقال: إليك عني يا سعد والذي نفسي بيده إنني أجد ريح الجنة من دون أحد(٢).

وثار الصوت في المدينة وارتفع صياح النساء وأصبحت الغارة تشن من قرب عاصمته ﷺ والملائكة بين السماء والأرض والحرب مشتبكة بين الكفر والإيمان.

إما سعادة ونصر وإما سحق وإبادة.

فثار حنظلة شاب من المدينة لما سمع الصوت وهو جُنُب فأخذ

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٩٤) بنحوه.

(٢) متفق عليه بنحوه.

سيفه بلا غمد فقاتل فقُتل في سبيل الله، فرفعته الملائكة في السماء والنبي تنهمر دموعه وهو يقول: «**والذي نفسي بيده إني أرى حنظلة تغسله الملائكة بين السماء والأرض في صحاف الذهب من مياه المزن**».

قالوا: ولِمَ تغسله الملائكة؟!

قال أهله: مات جُنُباً[1].

وتقدم حمزة رضي الله عنه وقتَل سبعة من القادة ثم أُثخن بالجراح ورُمي بحربة فلقي الله.

ثم وقف ﷺ على حمزة والشهداء وقال لحمزة وقد رآه مقطّعاً أمامه: «**والذي نفسي بيده لم أقف موقفاً أغيظ من هذا الموقف، والذي نفسي بيده لئن ظفرت منهم لأُمثلنَّ منهم بسبعين**»[2].

ثم أتى عبد الله بن عمرو الأنصاري فقاتل فقُتل وقُطّع إرباً إرباً وبكى ابنه فقال ﷺ لابنه: «**ابك أو لا تبك، والذي نفسي بيده ما زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته، والذي نفسي بيده إن الله كلّم أباك بلا ترجمان فقال الله: تمنَّ.**

قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأُقتل فيك ثانية.

قال: إني قد كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون، فتمنَّ.

قال: أن ترضى عني، فإني قد رضيت عنك.

قال الله: قد أحللت عليك رضواني لا أسخط عليك أبداً»[3].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٤)، والبيهقي (٤/ ١٥)، وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٧٥).
(٢) أخرجه البخاري بنحو السياق، وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٨٣).
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٩٦).

وارتفعت أرواح الشهداء، وقتل سبعون، وسال دمه ﷺ على جبينه ودخل المغفر في رأسه وانكسرت رباعيته وأُثخن بالجراح حتى سقط على الأرض.

وأتى أبو سعيد وقال: يا رسول الله أسألك بالله أن تأذن لي أن أمصّ دمك، وهو الدم الذي يسيل منه لينظف الجراح، فتقدَّم ومص الدم وقال رسول الله: **«من يسره أن يرى رجلاً من أهل الجنة فلينظر لهذا»**.

ولما انتهت المعركة وقف ﷺ ودمه يغلي على حمزة وإخوانه الشهداء متأثراً مجروحاً، ولكنه يعلم أن مبدأه سوف ينتصر وسوف يبقى والعاقبة للمتقين.

فقال: **«صفّوا ورائي لأثني على ربي»**(١).

سبحان الله! تثني على ربك وأنت مصاب؟... نعم.

تثني على ربك وقد قُتل أصحابك؟... نعم.

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا ... فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألم

هذه بطولات أهل الجنة وهم سلفكم الصالح، وهم والله الذين نصروا هذا الدين ورفعوه في معالم الدنيا ونشروه في بقاع الأرض ولم يقدموا عليه مالاً ولا أهلاً ولا ولداً.

عبّاد ليلٍ إذا جَنّ الظلام بهم ... كم عابد دمعه في الخد أجراه
وأُسْدُ غابٍ إذا نادى الجهاد بهم ... هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً ... يشيّدون لنا مجداً أضعناه

أولئك هم السلف الذين رفعوا راية لا إله إلاَّ الله خفاقة على جبال وسهول وبحار الدنيا.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٩٥).

وأما الذين جاؤوا من بعدهم فهم قد شهدوا الهزيمة لا النصر... والفشل لا النجاح... والذل لا العزّ.

لماذا؟

لأنهم رضوا بالحياة الدنيا واستبدلوها بالآخرة، رضوا بالزرع وبالتجارة وبالوظيفة وبالزوجة وبالولد وتركوا جنات عرضها السموات والأرض.

فأصبحت الشهوات مقدمة على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وأصبح الحرث والزراعة مقدماً على مسألة العبودية وعلى نشر الدين في الأقطار.

لقد بُعثت هذه الأمة مجاهدة ولم تُبعث مزارعة لاهية لاعبة.

وأنا لا أحرّم الزراعة والتجارة والأعمال.

لا... لأنها مباحة لكنها إذا عارضت الدين ونشره فعند ذلك نذمها وهي تستحق الذم حينذاك.

فيا أيها المسلمون عودوا إلى دينكم تجدوا كل الخير وكل النصر وكل العزّ.

وتخففوا قليلاً من الشهوات لتكونوا من أهل الجنة، كما كان أسلافكم. والله أعلم.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

يا حبذا الجنة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد...

أيها المسلمون... لنستمع إلى أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه وهو يروي لنا حديثاً يصل إلى القلوب مباشرة ولا يفهمه إلاَّ من ألقى السمع وهو شهيد.

يقول رضي الله عنه وأرضاه: قال الناس للرسول ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

فقال ﷺ: «**هل تُمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**».

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «**هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**»

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب**».

ثم قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه فيأتيهم**

تبارك وتعالى فيقول الله لهم: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمن كان يعبد الشمس تبع الشمس، ومن كان يعبد القمر تبع القمر، ومن كان يعبد الطواغيت تبع الطواغيت.

وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم سبحانه وتعالى فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا.

فيأتيهم ربهم على صورته تبارك وتعالى فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا.

فيوضع الصراط وتقف الملائكة بجنب الصراط ولا يتكلم أحد إلَّا الأنبياء والرسل يقولون: اللهمَّ سلِّم سلِّم... اللهمَّ سلِّم سلِّم... اللهمَّ سلِّم سلِّم».

ويقول ﷺ: **«وعلى جنبتي الصراط كلاليب مثل شوك السعدان أتعرفون السعدان؟»**.

قالوا: نعم يا رسول الله.

وفي صحيح مسلم: كأنك رعيت الغنم يا رسول الله ـ لأنه عرف السعدان ـ.

قال: **«نعم وما من نبي إلَّا رعى الغنم»**.

قال: **«فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم عظمها إلاَّ الله الواحد القهار، فتتخطف الناس، فناج مسلَّم... ورجل مخدوش منها ثم يسلم... ورجل مكدوس على وجهه في النار»**.

فيأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن تخرج من النار من كان يعبد الله لا يشرك به شيئاً فيخرجون وقد امتحشوا أي أُحرقوا وصهروا وهم يوحدون الله (ولا يخرج من النار مشرك أبداً)، فيخرجون وقد

امتحشوا أي احترقوا إلاّ مواضع السجود فإن الله حرم على النار أن تأكل مواضع السجود (لفضل السجود) فيغمسون في نهر الحياة ثم يدخلون الجنة.

وفي الصحيح: على جباههم: هؤلاء الجهنميون عتقاء الله من النار.

وتحدث رسول الله ﷺ عن آخر من يدخل الجنة وهو رجل يخرجه سبحانه وتعالى من النار فيقف هذا الرجل ووجهه مقابل للنار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار فقد أحرقني ذكاؤها وقشبني ريحها.

فيقول الله له: يا ابن آدم هل عسيت إن صرفت وجهك عن النار أن تسأل غير ذلك؟

قال: وعزتك وجلالك لا أسأل غير ذلك.

فيصرف الله وجهه عن النار إلى قبل الجنة.

فلما أبصر الجنة ورأى زهرتها ونضرتها ونعيمها وسرورها قال: يا رب قرِّبني إلى باب الجنة.

قال الله له: ويلك يا ابن آدم ما أعذرك وما أظلمك، أإن قدمتك إلى باب الجنة لا تسألني غير ذلك؟

قال: لا وعزتك وجلالك لا أسألك غير ذلك.

فيقدمه تبارك وتعالى إلى باب الجنة غير أنه لا يدخل الجنة.

فلما رأى أنهارها ودورها وقصورها ونعيمها وسرورها قال: يا رب أدخلني الجنة.

فيقول الله له: ويلك يا ابن آدم ما أعذرك وما أظلمك أما أعطيتني الوعود والمواثيق ألا تسألني غير ذلك؟!

فيقول: يا رب بعزتك وجلالك لا أكون أشقى الناس بك اليوم.

فيدخله الله الجنة، فلما وصل إلى الجنة قال الله له: تمنَّ.

قال: أتمنى كذا وكذا، وفي صحيح البخاري فيذكِّره الله بالأشياء، يذكِّره بالقصور، ويذكِّره بالأنهار، ويذكِّره بالدور، ويذكِّره بالحور العين، وما زال ربه يذكِّره حتى تنقطع أمانيه.

فيقول: ألا تتذكر شيئاً؟

قال: لا يا رب.

قال: فإن لك ذلك ومثله معه، ومثله معه، ومثله معه، ومثله معه. وفي رواية أبي سعيد: لك مثل أعظم ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله معه.

وفي رواية صحيحة: مثل ملك الدنيا وعشرة أمثال ملك الدنيا.

لا إله إلاَّ الله! الدنيا كل الدنيا ذهب الدنيا فضة الدنيا قصور الدنيا وعشرة أمثالها معها... لكن لا مرض ولا خوف ولا كرب ولا هم ولا حزن.

هذا الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

وفيه قضايا:

أولها: شرف الصحابة وإيمان الصحابة ويقين الصحابة الذين تركوا الدنيا وتركوا ملذات الدنيا وشهوات الدنيا، يتذكرون ذلك اليوم فيقولون: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

ما أعظم السؤال! وما أعظم الإيمان!

أما نحن فإننا في مهلة وفي غفلة وفي بُعد عن الله فما أصبحنا نتذكر هذه القضايا.

هل سأل أحد منا: كيف نرى الله؟

هل تكلم بعضنا مع بعض في رؤيتنا لربنا وهي أفضل النعيم وأجلّ القربات؟

ثانياً: أن رؤية الله حق للمؤمنين في الآخرة ولا يراه المشركون سبحانه كما قال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

موسى عليه السلام أعطاه الله التكليم فلما كلمه تبارك وتعالى وجد من الإيمان ومن السرور ومن الحبور ومن اللذة ما لا يعلمه إلاَّ الله.

فقال: يا رب أرني انظر إليك.

قال: إنك ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾.

رؤية الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ثابتة يوم القيامة.

يقول الصحابة: كيف نرى الله؟

فيقول ﷺ: أترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟... ليس المرئي كالمرئي تبارك وتعالى، لكن الرؤية كالرؤية.

أترون الشمس في يوم صحو ليس دونها سحاب؟

قالوا: نعم.

قال: سترون ربكم كما ترون الشمس.

فليس المرئي كالمرئي ولكن الرؤية كالرؤية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

ثالثاً: وفي الحديث أيضاً أن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار خلافاً لمن ذهب لذلك من أهل البدع... فمن كان موحداً فإنه لا يخلد في النار.

رابعاً: وفي الحديث أن من المصلين من يدخل النار ومنهم من يصلي الصلوات الخمس ويدخل النار، كأن يكون عاقاً أو قاطع رحم أو آكل ربا أو زانياً أو فاجراً.

خامساً: أن الله حرَّم على النار أن تأكل مواضع السجود.

سادساً: وفي الحديث فضل الله وكرم الله وأن الدنيا لا تساوي شيئاً... فإذا كان أقل ما يملكه أقل الناس في الجنة أعظم مما يملكه أعظم ملوك الدنيا ومثله عشر مرات، فكيف بمن هو في الدرجات العالية؟.

فيا من أعدّ لذاك الموقف... إن كنت تريد أن ترى الله وهو أعظم لذة عند أهل السنة والجماعة وهو يوم الزيادة فعليك أن تكون مستقيماً على أمر الله ليسكنك الله داراً لا يفنى شبابها ولا تبلى ثيابها... داراً غرس الله أشجارها بيده... داراً بنى الله قصورها بيده فقال الله: تكلمي.

فقالت: قد أفلح المؤمنون[1].

فيا سعودكم أيها المصلون!

وهنيئاً لكم أيها التائبون العابدون!

إذن... لقد دعا الرسول ﷺ أصحابه إلى تحقيق هذه السعادة الأبدية وكان دائماً يرغبهم في هذا الفضل العميم من الله... ألا وهو الجنة.

وقف ﷺ قبل معركة بدر يحثّ الناس على القتال وعلى جنة عرضها السموات والأرض فقال لهم: «**والله ما بينكم وبين الجنة إلّا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة**».

---

(١) رواه البزار بسند حسن.

فقال عمير بن الحمام: يا رسول الله ما بيننا وبين الجنة إلاَّ أن يقتلنا هؤلاء؟

فقال: «**إي والذي نفسي بيده**».

فقذف تمرات كانت في يده يأكلها وقال: بخ... بخ... إنها لحياة طويلة إن بقيت حتى آكل هذه التمرات.

ثم كسر غمد سيفه وقاتل حتى قتل شهيداً رضي الله عنه(١).

ويأتي أحد شباب الأنصار، يأتي قبل معركة أحد بعد أن علم أن الرسول ﷺ قد يقاتل الكفار في المدينة فيقول: يا رسول الله لا تحرمني دخول الجنة... اخرج بنا إلى أحد فوالله الذي لا إله إلاَّ هو لأدخلن الجنة!

فتبسم ﷺ وقال: **بمَ تدخل الجنة؟**

قال: بخصلتين: أني أحب الله ورسوله ﷺ، ولا أفر يوم الزحف.

فقال ﷺ: **إن تصدق الله يصدقك**.

فخرج ﷺ إلى أحد وبعد المعركة كان هذا الشاب المؤمن في طليعة الشهداء.

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها والجود بالنفس أغلى غاية الجود

فقال ﷺ لما رآه: «**صدق الله فصدقه الله**».

هؤلاء هم محبو الجنة الذين قد دخل حبها قلوبهم وطاروا إليها

---

(١) الإصابة (٧/ ١٦٢).

زرافات ووحداناً لما سمعوا بنعيمها... فأين نحن منهم؟

يا أيها المسلمون لقد هبَّت نسائم الجنة فهل من مستنشق؟ وهل من مشمِّر عن ساعدَي الجد والعزم؟ فإن المهر غالٍ.

وفقنا الله وإياكم لدخول الجنان... وجنبنا ولوج النيران. والله أعلم.

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

دار الخلد

إن الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. . . من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

أما بعد. . . فإن هذه الرسالة تتناول وصف الجنة من الكتاب والسنّة، والجنة هي دار الصالحين، والجنة هي السلعة الغالية التي ذهبت المهج من أجلها، وهي الدار التي بناها الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين.

فاعمل لدار غداً رضوان خازنها ... الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

واعلم أن هذه الرسالة تتكون من عدة مسائل. . . هي:

المسألة الأولى: الجنة حدائق وعيون

أما الجنة فهي حدائق وعيون، وأنا أحرص على أن تكون الدلائل من الكتاب والسنّة الصحيحة الثابتة عنه ﷺ.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ قال أهل العلم: جنات جمع جنة وهي الحديقة، ويجوز أن تُطلق على حدائق الدنيا،

فتسمى حدائق الدنيا الجنة، ولله المثل الأعلى، ولجنته مثلٌ أعلى بالنسبة لخلق الدنيا. قال ابن عباس فيما صحَّ عنه: ليس في الدنيا مما في الجنة إلاَّ الأسماء، يعني هناك رُمَّان وهنا رمَّان، لكن لا سواء، هناك ريحان وهنا ريحان لكن لا سواء، هناك تمر وهنا تمر لكن لا سواء، فليس إلاَّ الاسم، ولا يقال بقياس الشمول ولا العموم وإنما الأولى.

وأما العيون فقيل: عيون ثابتة صافية الماء راكدة، وقيل إنها أنهار تجري، وهي تسيح، ولها أصوات وفيها من الخير ما الله به عليم، فإذا كان نهره ﷺ طوله كما بين صنعاء وبيت المقدس، طوله شهر وعرضه شهر أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وعدد آنيته عدد نجوم السماء فكيف بالأنهار الكثيرة وأعظمها نهر المصطفى ﷺ؟

وقال سبحانه: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ ولأهل العلم معانٍ في هذه الآية فقال بعضهم: تجري من تحت الغُرف، غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار. وقالوا: تجري من على وجه الأرض لكن لارتفاعهم على وجه الأرض تُصبح كأنها من تحتهم. والله أعلم.

وقد يكون المعنيان صحيحين كأن يقال: هناك أنهار من تحت القصور والغرف، وهناك أنهار تجري على وجه الأرض.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وهذا يؤيد المعنى الأول أنها من تحت الغرف ومن تحت القصور لكن بالإمكان الشرب منها والجلوس حولها وهي تسيح على وجه الجنة سحًّا.

المسألة الثانية: أنهار الجنة

ما هي هذه الأنهار؟ ذكرها الله عزَّ وجل في سورة محمد ﷺ، قال سبحانه: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾. لكل مسلم هناك أو

مؤمن، لأنه لم يعِد الله إلاَّ المؤمنين بالجنة، وهذه قاعدة عند ابن تيمية. لأن المسلم قد يرتكب الكبائر وصاحب الكبائر لم يوعد بالجنة.

ومعتقد أهل السنة والجماعة أن صاحب الكبيرة يُخافُ عليه ولا يخلَّد في النار وقد يُعذب وقد تدركه رحمة الله وهو فاسقٌ بكبيرته ناقص الإيمان لا يخرج من الإسلام كما أخرجته الخوارج إلاَّ أن يَسْتحل الكبيرة، هذا معتقد أهل السنة والجماعة.

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ ما هو الماء غير الآسن؟ الآسن: المتغير، أي لا يتغير ماء الجنة مهما بقي في مكانه فهو عذب صافٍ طيب تشتهيه الأنفس.

وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه، أي لا تدخله الحموضة، وعند بعض المفسرين: ولا يدخله عفن ولا رائحة منتنة بل هو عذب طيب سائغ الشراب.

وأنهار من خمر لذة للشاربين لا صُداع فيها، ولا ينزفون: أي لا تتعطل عقولهم ولا تذهب كخمر الدنيا، وهذا الفرق بين هذا الخمر وذاك. وخمر الدنيا من شربها ولم يتب منها كان على الله عهد أن يُسقيه من ردغة الخبال، قالوا: وما ردغة الخبال يا رسول الله؟ قال: عُصارة أهل النار. وقيل في المعنى: قيحهم وصديدهم ودماؤهم والعياذ بالله.

وأنهار من عسل مصفًّى: أي خالص غير مشوب بشيء مما يُفسد طعمه.

المسألة الثالثة: تحية أهل الجنة

فتحية أهل الجنة السلام ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

وعند البخاري عن أبي هريرة أن الله لما خلق آدم طوله ستون ذراعاً في السماء قال: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلِّم عليهم. فذهب فسلَّم فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فزادوه وبركاته، فقال الله: هذه تحيتك وتحية ذريتك من المؤمنين أو كما قال سبحانه وتعالى.

فالتحية في الجنة (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، ألا تتفكر أن يجمعك الله بذريتك وأطفالك، ألا تريد أن يجمعك الله بأطفالك وبناتك وأهلك في الجنة، ألا تريد أن تسلِّم عليهم ويسلِّموا عليك ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾.

بعنا النفوس فلا خيار ببيعنا أعظم بقوم بايعوا المختارا
فأعاضنا ثمناً أَلَذَّ من المنى جنات عدن تُتحِف الأبرارا

وطلبُ الجنة من مقاصد أهل السنّة والجماعة، بخلاف الصوفية الذين قال غلاتهم: نحن والله لا نريد الجنة ولا نخاف من النار، وهذا بخلاف ما ورد في القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾، وقال عن الصحابة: ﴿ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا﴾. وقال ﷺ عند ابن ماجه بسند حسن: «**هل من مشمر إلى الجنة**» الحديث.

فالجنة من المقاصد الأساسية لأهل السنّة والجماعة.

دخل ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه الله على أحد السلاطين المماليك فقال له السلطان: يا ابن تيمية، يقول الناس إنك تريد ملكنا وملك آبائنا وأجدادنا، قال: ملكُك؟ قال: نعم.

قال: والله ما ملكُكَ وملك آبائك وأجدادك يساوي عندي فلساً،

إني أريد جنةً عرضها السموات والأرض. فمن أراد رضوان الله لا يتلمَّح إلى الدنيا أبداً.

قال سعد بن أبي وقاص: لما حضرنا أُحد قام عبد الله بن جحش أحد الصحابة فقال قبل المعركة: يا رب اللهم إنك تعلم أني أحبك، فإذا حضرنا المعركة فلاقِ بيني وبين عدو لك، شديدٌ حردُه، قوي بأسه، فيقتلني فيك فيبقر بطني ويجدع أنفي ويفقأ عيني ويقطع أذني، فإذا لقيتك يا رب يوم القيامة بهذه الصورة وقلت لي: يا عبد الله لم فعلت هذا، فأقول: فيك يا رب.

قال: فلما انتهت المعركة قال سعد: فوالذي نفسي بيده لقد رأيته قد قُتل وبُقر بطنه وجُدع أنفه وفُقئت عيناه وقطعت أذناه.

قال سبحانه: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ولو لم يكن بسلام: لكانوا خائفين. ولو لم يكونوا آمنين ما تهنُّوا بالعيش، ولذلك العيش لا يسعد إلاَّ بثلاثة: الإيمان، الأمن، الصحة.

فمن جمع الله له الإيمان والصحة في البدن والأمن في الأوطان فقد أعطاه الله غاية ما تمنى. فلذلك قال سبحانه: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾، ولذلك إنما سمي السلام سلاماً، لأنك تقول للمسلم سوف تَسْلَم مني. وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «**المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده**».

المسألة الرابعة: سلامة صدور أهل الجنة

أمّا سلامة صدورهم، فهي من أعظم خصال أهل الجنة. ولا نعيم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلاَّ بسلامة الصدور.

والقلب إذا اشتغل بالحقد والحسد والبغضاء والضغينة فلا عيش له ولا هدوء، ولذلك يقولون في الحسد: ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله،

فالحسد والضغينة يقتلان صاحبهما قبل أن يصل ضررهما إلى غيره، ولذلك جعل الله من نعيم أهل الجنة إذا دخلوا الجنة أن ينزع الغل من قلوبهم والحسد من صدورهم، فيكونون أحبَّاء حيث يدخلهم الجنة إخواناً كما ذكر ذلك في القرآن، فقد قال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ قال: ونزعنا ولم يقل نُزع للاحتفاء بهم. وقال: ما في صدورهم من غِلٍّ، ليذهب كل حقد وغيظ. وقال: إخواناً لأنه قد يُنزع ولا تكون بينهم معرفة فزادهم أن تعارفوا في الجنة. وقال: على سرر، وهذا من النعيم ولم يقل على بُسط أي رفعهم سبحانه. وقال: متقابلين، أي لم يعط بعضهم لبعض ظهره لأن من النعيم أن تقابل أصحابك في جلسة ندية.

قال أحد الشعراء العرب في نعيم المجالس:

ولما جلسنا مجلساً طله الندى　　جميلاً وبستاناً من الروض ناديا
أثار لنا طيب المكان وحسنُهُ　　منىً فتمنينا فكنت الأمانيا

فأسعد الجلسات هي التي تتقابل فيها بالأصحاب. قيل لمعاوية وهو في السبعين وقيل في الثمانين: كيف رأيت الحياة؟ قال: لبست كل لباس فما وجدت كلباس التقوى، وشربت كل شراب فما وجدت أمرَّ من غَلَبة الرجال، وأكلت كل أكل فما رأيت ألذ من الصبر على المصائب، وعاشرت الإخوان والخلاَّن فما رأيت كصاحب يخاف الله أجلس معه يقابلني وأقابله في مجلس ليس معنا إلاَّ الله أو كما قال.

وقال ابن المبارك في جلسة الأصحاب:

وإذا صاحبتَ فاصحب ماجداً　　ذا عفاف وحياء وكرم
قوله للشيء لا إن قلت لا　　وإذا قلت نعم قال نعم

قال سبحانه وتعالى في سلامة صدورهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

ذكر أهل التاريخ: أن عليَّ بن أبي طالب لما قُتل طلحة في معركة الجمل ترجّل إلى طلحة فكفَّ التراب عن وجهه ومسح الغبار عن لحيته وقبّله وبكى وقال: يعزّ عليّ يا أبا محمد أن أراك مجندلاً بالتراب، ولكن أسأل الله أن أكون وإياك ممن قال تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وصحَّ عنه ﷺ أنه جلس مع الصحابة في المسجد، فقال: «**يدخل عليكم الآن من هذا الباب رجل من أهل الجنة**»، فدخل رجل متوضىء تتقاطر لحيته بآثار الوضوء، فصلّى ركعتين وجلس.

وفي اليوم الثاني قال ذلك ﷺ، وفي اليوم الثالث أيضاً، فذهب ابن عمرو وراء هذا الرجل وبات معه ليلتين وقيل ثلاثاً، فرآه مقتصداً في صلاته، ليس هناك ما يلفت النظر، مقتصداً في صيامه وفي أذكاره.

فقال: يا فلان والله ما بي إلاَّ أني سمعت الرسول ﷺ وهو يخبرنا ثلاث مرات أنك من أهل الجنة فماذا تفعل؟ فقد رأيت صلاتك ليست بكثيرة (يعني من النوافل) ولا صيامك، ولا ذكرك. قال: أما إن سألتني فوالله الذي لا إله إلاَّ هو لا أنام ليلة من الليالي وفي قلبي غل أو غش أو ضغينة أو حقد أو حسد لأحد من المسلمين.

قال: فبذلك غلبتنا، أو كما قال(١).

إذاً من أعظم النعم سلامة صدور المؤمنين، وهذه لا تكون إلاَّ في الجنة، أما في الدنيا فتجد الأحقاد والحسد.

مررنا بقرية فيها بيتان متجاوران لأخوين شقيقين يقول لنا أحد الدعاة: والله إن صاحب هذا البيت لا يُسلّم على صاحب هذا البيت من عشر سنوات بسبب قطعة أرض! فأين الإيمان؟

(١) حديث صحيح رواه أحمد وغيره.

لقد وصف الله مُلك الجنة فقال: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ ووصف الله أهل الجنة فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

كان لمعاوية بن أبي سفيان، مزرعة في المدينة بجانب مزرعة عبد الله بن الزبير الحواري الجليل، فدخل عمال معاوية في مزرعة عبد الله بن الزبير فغضب ابن الزبير وبينه وبين معاوية إِحن، فكتب لمعاوية: إلى معاوية بن هند آكلة الأكباد! أما بعد فإن عمالك قد دخلوا مزرعتي. فمُرهم بالخروج، وإلاَّ فوالله الذي لا إله إلاَّ هو ليكونن لي ولك شأن.

فأتت الرسالة إلى معاوية وكان من أحلم الناس، فقرأ الرسالة فعرضها على ابنه يزيد وقال: ما رأيك في ابن الزبير كتب يتهددني؟!

فقال: أرسل إليه جيشاً أوله في المدينة وآخره عندك يأتون برأسه.

قال: بل خير من ذلك زكاة وأقرب رحماً.

ثم أرسل إليه رسالة قال فيها: من معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن الزبير بن أسماء ذات النطاقين، أما بعد فوالله الذي لا إله إلاَّ هو، لو كانت الدنيا بيني وبينك لسلَّمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لسلَّمتها إليك. فإذا أتتك رسالتي فخذ مزرعتي إلى مزرعتك وعمَّالي إلى عمَّالك.

فلما وصلته الرسالة بكى حتى بلَّها بالدموع، ثم ذهب إلى معاوية في دمشق وسلَّم عليه وقبَّل رأسه وقال: لا أعدَمك الله حِلماً أحلَّك في قريش هذا المحل.

المسألة الخامسة: مجالس أهل الجنة

أما مجالس أهل الجنة فقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ

مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ وتقدم هذا، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ قالوا: هذا اللين من الحرير وسوف يأتي تفصيل ذلك. وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ وبعضهم يقول: بطائنها من إستبرق: ما غلظ. وبعضهم يقول: ما رقّ.

والمقصود أن الله ذكر الحرير مرتين: الغليظ منه والرقيق. الرقيق أعلى الطنافس والغليظ الذي من تحت. فلا إله إلاَّ الله ما أحسنه من نعيم: لا هم، لا غم، لا حزن، لا فرقة، لا خوف نسأل الله من فضله.

وقال سبحانه: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ يعني مرفوعة عن التراب أو مرفوعة بمعنى كلما ارتفع الفراش كان أحسن وأحسن. حتى أنه في بعض الآثار أن الإِنسان يغوص في فراشه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ والأرائك أقل من الفرش فإنها أصناف وهي مجالس ومنابر من نور، وكثبان من مسك، وفرش ممهدة، وفرش عالية، وبطائن، وأرائك يُغير الإِنسان ما يحب في كل يوم جلسات متعددة.

فأين نعيم الدنيا وأين لذتها بجانب هذا النعيم؟

أحد السلاطين في الدنيا ملك قصوراً هائلة وهو معروف في التاريخ مشهور، فلما أسرف في الطعام والشراب أتاه المرض فأقعده فأخذ يعوي ويبكي الليل والنهار حتى تمنى الموت.

الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموي ذكر الذهبي أنه لما حضرته الوفاة تبطح على التراب يبكي ويضرب وجهه ويقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾.

أين النعيم؟ النعيم في الإِيمان، النعيم في طاعة الواحد الأحد،

النعيم أن تتعرَّف على الله، أما القصور مع الفسق، والسيارات مع ترك الصلاة والإعراض عن الله، فهذا والله خسارة ولعنة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾. والأخضر لونه جميل، والعجيب أني رأيت بحثاً لأحد الأطباء يقول فيه: الأخضر من أحسن ما يكون من الألوان، ولذلك وصف الله الجنة بالخضرة. ولباسهم في الأحاديث الصحيحة بالخضرة، والطيور التي تأوي إليها أرواح الشهداء بالخضرة. وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ حتى ورد أمر في بعض المقاطعات في بريطانيا أن على الأطباء أن يرتدوا اللباس الأخضر عند إجراء العمليات ولا يلبسوا الأحمر. المهم... أن الله لم يذكره هنا إلاّ لسر الله أعلم به.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ وهذه الآيات يصدق بعضها بعضاً، وهي من باب العطف، أو من باب البيان، أو من باب الترادف، أو من باب التعدد.

المسألة السادسة: لباس أهل الجنة

ما هو لباس أهل الجنة؟ أولاً أيها الأخ الكريم تذكر أننا يوم العرض الأكبر سوف نأتي عُراةً، حتى الأنبياء عليهم السلام.

فمن أول من يُكسى؟ إبراهيم عليه السلام. فالناس يحشرون حفاة عراة غرلاً بُهماً كما ولدتهم أمهاتهم، حتى تقول عائشة يعني تتعجب: يا رسول الله عراة! ألا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «**الأمر أعظم من ذلك يا عائشة** ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾».

هل يفكر الإنسان أو ينظر؟ لا والله فالأمر أدهى وأعظم وأكبر من أن يتفكر الإنسان أو يفكر في مثل هذه الأمور.

فيُكسى إبراهيم وليس بأفضلهم بل أفضلهم محمد ﷺ، ثم يكسوهم سبحانه وتعالى في الجنة.

أما أهل النار فيقول سبحانه وتعالى في نوعية لباسهم: ﴿لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾، وفي بعض الروايات يلبسون القطران ويلبّسون الحديد المصفح الحامي.

أما أهل الجنة فاسمع إلى لباسهم. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ قالوا: السندس ما غلظ من الديباج أو الحرير. وصحَّ عند مسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ أُهدي جلباباً من سندس فأخذ الصحابة يمسحون وينظرون فيقول ﷺ: **«أتعجبون من ذلك! والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»**(١).

سعد بن معاذ شهيدٌ قُتل في الخندق بسهم ومات بعدها بسنة. اهتز عرش الله كما صحَّ بذلك الحديث لموته. وشيَّعه سبعون ألف ملك.

قال حسان بن ثابت:

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلاَّ لسعد أبي عمر

فمناديل سعد بن معاذ التي هي للعرَق أحسن من هذه الجُبب التي من الحرير في الدنيا. فكيف بغيرها؟

وقال سبحانه وتعالى في لباسهم: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾.

قال ﷺ في صحيح مسلم: **«من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»**.

---

(١) متفق عليه.

وصحَّ في أحاديث أخرى أن ثياب أهل الجنة تخرج من ثمرات الأشجار أي أن كُم الشجرة وغُصن الشجرة يُثمر فيأتي بأكمام فتتفتق بثياب مفصلة عليهم بكل لون أرادوه، فينزعون الثياب ويلبسونها. وهذا نعيم ما يتصوره الإِنسان. وثياب ستر كساهم بها الله عزَّ وجل، والذي لا يكتسي بلباس التقوى فوالله لو لبس ثياب الدنيا ما ستره الله.

المسألة السابعة: ريح الجنة

إن للجنة ريحاً الله أعلم بها، قال ﷺ وهذا عند البخاري في الصحيح: «**من قتل معاهَداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً**». يعني من عاهد معاهداً كافراً أو غيره من أهل الكتاب فقد أعطاه ذمة الله وعهد الله ثم قتله فحرام عليه أن يروح رائحة الجنة، ورائحة الجنة توجد من مسافة أربعين عاماً.

قال ابن القيم: ورد في النصوص ألفاظ منها أربعين عاماً وخمسمائة عام وغيرها من الأعوام، فإما أن يكون ذلك على قدر العمل أي أن من أتى بعمل عظيم شنيع بعَّده الله أبعد من أربعين عاماً، ومن أتى بعمل أخف فأربعين عاماً.

وقيل: بل على طرف الجنة وعلى وسطها، فمن طرفها يمكن أن يكون أربعين ومن وسطها خمسمائة أو مائة عام، أو ما أتى في الحديث وهذا جمع جيد. فلا شُلت يدُ ابن القيم وجزاه الله عن الإِسلام خير الجزاء.

وكان أنس بن النضر يستنشق يوم أحد، قالوا: ما لك؟ قال: أجد ريح الجنة من دون أحد، وقتل وضُرب ثمانين ضربة حتى ما عرفته إلاَّ أخته ببنانه، لكن ما أحسن هذا الضرب وما أحسن هذا القتل طالما أنه في سبيل الله، والذي لا يموت صادقاً مع الله يموت كما تموت الدواب والبهائم.

وصحَّ أن عبد الله بن عمرو الأنصاري سأل الله رضوانه ولبس أكفانه قبل المعركة واغتسل وتحنَّط وتطيَّب. ثم أتى المعركة فأخذ غمد السيف وكسره على ركبته فقُتل، فأتى ابنه جابر يبكي، فقال ﷺ: **«ابك أو لا تبك، والذي نفسي بيده ما زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته، والذي نفسي بيده لقد كلَّم الله أباك كفاحاً بلا تُرجمان، فقال له: تمنّ. قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأُقتل فيك ثانية. قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون. فتمنَّ. قال: أتمنى أن ترضى عني فإني قد رضيت عنك. قال: فإني قد أحللت عليك رضواني لا أسخط عليك أبداً، فجعل الله روحه وأرواح إخوانه في حواصل طير ترِد الجنة فتأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش حتى يرث الله الأرض ومن عليها»**.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

المسألة الثامنة: أبواب الجنة

قال ﷺ في الحديث المتفق عليه عند البخاري ومسلم عن عُبادة ابن الصامت: **«من شهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** ـ وفي اللفظ الآخر: **من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»**. متفق عليه.

وعند البخاري في كتاب الجهاد قوله ﷺ: **«إن للجنة أبواباً ثمانية فمن كان من أهل الصلاة دُعي مِن باب الصلاة، ومَن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام، ومَن كان من أهل الصدقة دُعي من باب**

الصدقة». فقال أبو بكر: هل يُدعى أحد يا رسول الله من تلك الأبواب الثمانية؟ فتبسم ﷺ وقال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**».

إن أبا بكر لم يسأل إلاَّ وفي قلبه شيء، وما خاب ظنه، فقد بشّره الرسول ﷺ، لأن أبا بكر كانت لديه همة وعزيمة لا يعلمها إلاَّ الله جلَّ جلاله، رغم أن جسم أبي بكر كان ضعيفاً نحيفاً. لكنه كما قال عنه ابن القيم:

من لي بمثل سيرك المدلَّل تمشي رويداً وتجيء في الأول

يقول دائماً أنت تأتي في الأول، أنت أول الذاكرين وأول المجاهدين وأول الصادقين وأول الدعاة، أعطيت للإسلام دمك ودموعك وعرَقك ومالك ووقتك. فلماذا لا تأتي يا أبا بكر في الأول وتدخل الجنة من أي الأبواب الثمانية شئت؟

أما اتساع أبواب الجنة فقد صحَّ عنه ﷺ عند مسلم من حديث عتبة بن غزوان أنه قال: «**ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة**».

لا إله إلاَّ الله، يعني ما بين طرف الباب والباب مسافة أربعين سنة. ثم يبتسم عتبة بن غزوان فيقول: قال ﷺ: «**وإنه ليأتي عليه يوم له كظيظ من الزحام**».

فنسأل الله أن نكون ممن يُزاحم على تلك الأبواب: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله فُتحت له أبواب الجنة الثمانية**».

فقل لبلال العزم إن كنت صادقاً أرحنا بها إن كنت حقاً مصليا
توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً به تلقى أبواب الجنان الثمانيا

قال عقبة بن عامر: روّحتُ إبلي فتأخرت فيها وأتيت الرسول ﷺ وهو يحدث الناس وقد مضى في الحديث قال: فسمعته يقول: «**من قال رضيت بالله رباً وبالإِسلام ديناً وبمحمد نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه**»، فقلت وعمر بجانبي: ما أحسن هذا. قال عمر والتفت إليَّ: التي قبلها أحسن منها. قال: فلما انتهى ﷺ من الحديث التفت إليَّ عمر ثم قال: أما كنت معنا من بداية اليوم؟ قلت: لا، أدركتكم في آخر الكلام.

قال: فإن الرسول ﷺ قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله فُتحت له أبواب الجنة الثمانية**»، هذا اللفظ عند البخاري. زاد الترمذي بسند حسن ويقول: (**اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**).

المسألة التاسعة: أول من يدخل الجنة

أول من يدخل الجنة محمد بن عبد الله ﷺ، أبو القاسم، فدرجته في الجنة الوسيلة.

ولذلك اختلف أهل العلم: ما هي الوسيلة؟

قال ﷺ: «**درجة في الجنة لا تنبغي لأحد إلَّا لعبد وأرجو أن أكون أنا هو**». وهو ﷺ يعني أعلى منزلة في الجنة. وهو مقعد واحد لا يأخذ اثنين ليس إلَّا للرسول ﷺ.

تُغلق أبواب الجنة والناس في الحشر في عَرَصَات القيامة فيأتي ﷺ فيطرق باب الجنة. فيقول خازن الجنة رضوان: مَنْ؟ فيقول: أنا محمد بن عبد الله، رسول الله. قال: بك أمِرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك، فيفتح الباب.

قال ﷺ والحديث عند مسلم في الصحيح: «**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**»، وعند مسلم في الصحيح:

«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتحه فيقال لي: مَن؟ فأقول: محمد، فيقال: بك أُمِرْتُ أن لا أفتح لأحد قبلك».

وعند ابن ماجه: إن أول من يدخل من الأمة الجنة أبو بكر. فهو أول من يدخل من أمة محمد ﷺ. لكن في الحديث كلاماً لأهل العلم ذكره ابن القيم وتكلَّم في الحديث(١).

وأما من الأصناف فإن الفقراء يدخلون قبل الأغنياء بخمسمائة عام.

المسألة العاشرة: صفة دخول أهل الجنة

أيدخلون طوابيراً؟ أم يدخلون صفوفاً؟ أم يُدعون واحداً واحداً أم ماذا؟

في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد في البخاري ومسلم قال ﷺ: **«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف»**. هذه الرواية في الصحيحين: **«سبعون ألف أو سبعمائة ألف متماسكون آخذٌ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»** متفق عليه.

إذاً فالدخول جماعي في صفوف وفي زحف مقدَّس: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

يدخلون على منازل أوّلهم على صورة القمر ليلة أربعة عشر، ثم على صورة الكواكب الدرية، ثم بعدها في البياض، وهكذا تدريجياً.

---

(١) حادي الأرواح (٨٤). والحديث رواه أبو داود أيضاً. وضعفه الألباني في المشكاة (٦٠٢٤).

المسألة الحادية عشر: أدنى أهل الجنة منزلة

قال موسى عليه السلام: يا رب مَن أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: يا موسى أدنى أهل الجنة منزلة رجل يدخل الجنة بعدما يدخل الناس ويأخذون مقاعدهم، فيسأل الله أن يعطيه، فيقول له الله: أما ترضى أن يكون لك مثل مُلْك ملِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: يا رب أتستهزىء بي وأنت رب العالمين؟

قال: لا أستهزىء بك. فيقول الله: إن لك ذلك ومثله ومثله. قال: رضيت يا رب. قال الله: فإن ذلك لك وعشرة أمثاله.

وهذا أدناهم فكيف بأعلاهم؟ ولذلك في الحديث: أما أعلاهم فذلك الذي غرست كرامتهم بيدي. ولهم نعيم ما خطر على قلب بشر، أو كما قال ﷺ عن ربِّ العزة[(١)].

المسألة الثانية عشر: درجات أهل الجنة

يقول ﷺ في الحديث المتفق عليه عند البخاري ومسلم: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرِّيَّ الغابر في الأفق من المشرق ومن المغرب لتفاضل ما بينهم**»، متفق عليه.

والجنة منازل ودرجات. كما ذكر أبو سعيد في حديثه عند البخاري أن الجنة مائة درجة، وما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض أعدت للمجاهدين في سبيل الله.

ولذلك فأهل الجنة ثلاثة: سابق بالخيرات، ومقتصد، وظالم لنفسه يرحمه الله لحديث: «**أخرجوا من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[(٢)]، فيبقى في ربض الجنة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

لكن هل ترضى همتك أن تكون في رَبَضِ الجنة؟ أتعدُ من يصلي الخمس فقط بمثل من يصلي الخمس ويقوم الليل ويتنفل ويتدبر القرآن ويجاهد نفسه على طاعة الله ويبذل ماله ويصدق مع الله؟ ليسوا سواء فتلك درجات عند الله، والله بصير بما يعملون.

المسألة الثالثة عشر: خيام أهل الجنة

في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي موسى قال ﷺ: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة طولها في السماء ستون ميلًا**، (وفي آخر الحديث:) **له في كل ناحية أهلون وأبناء لا يرى بعضهم بعضاً**»، هذا الحديث متفق عليه.

وهذه الخيام غير القصور وغير الغرف وغير المنازل التي لا يعلم سرها وكنهها إلاَّ الواحد الأحد، فنسأل الله العلي القدير أن يجعلنا من أهل هذه الخيام.

المسألة الرابعة عشر: شجر الجنة

قال ﷺ والحديث في البخاري: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**».

وفي لفظ صحيح: «**الراكب المُجِدّ على فرس يسعى بالفرس مائة عام لا يقطع ظلها**»، فلا إله إلاَّ الله إنه لعيش ما أرغده! وما أحسنه! نسأل الله أن يجلسنا تلك المجالس.

المسألة الخامسة عشر: طعام أهل الجنة

ذكر ﷺ في حديث رواه مسلم أن: «**أهل الجنة لا يبولون ولا يمتخطون ولا يتغوَّطون ولا يهتمُّون ولا يحزنون**». قال الصحابة: يا رسول الله: فما بال الطعام؟ أين يذهب الطعام؟ قال ﷺ: «**جُشاء ورشح كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتمجيد، كما يُلهمون النَّفس**»

رواه مسلم. ما أحسن الكلام! رشح كالمسك، هذا الطعام وبقايا الفضلات يخرج كالمسك فإذا هو أذفر وأحسن وأشذى وأذكى من المسك.

المسألة السادسة عشر: نساء أهل الجنة

صحَّ عنه ﷺ أن لكل مؤمن في الجنة زوجتين جميلتين حَسَنتين يُرى مخ ساقهما من وراء الساق من حسنها وصفائها.

وله من الجواري اثنتان وسبعون جارية. في نعيم آخر الله أعلم به(١).

والمسلمة في الدنيا تتزوج بزوجها في الجنة هذا من أقوال أهل السنة، ومن لم ترضَ زوجها أو لم يرضها لمخالفته للدين أو الخلق أبدلها الله بزوج خير منه في الجنة. وأبدله زوجةً خيراً منها في الجنة. ومن كان له عدة زوجات إذا رضينه تزوجنه جميعاً. وهذا من النعيم الخالد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾.

المسألة السابعة عشر: سوق الجنة

أما سوق الجنة... فعند مسلم عن أنس: «**إن في الجنة سوقاً يدخله المؤمنون فتهب عليهم ريح الشمال فتنثر في وجوههم المسك فيزدادون حسناً وجمالًا إلى جمالهم وحسنهم فيقولون لبعضهم البعض: ازددتم حسناً وجمالًا إلى حسنكم وجمالكم**».

المسألة الثامنة عشر: نظر أهل الجنة إلى ربهم

ومن أعظم الكرامات نظر أهل الجنة إلى ربهم، وهي من عقيدة

---

(١) راجع حادي الأرواح (١٦٦ فما بعدها)، فقد أطال في ذكر أحاديث تصف نساء الجنة.

أهل السنّة. قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ قال الشافعي رحمه الله: لما حجب أهل المعصية، دل على أن أهل الطاعة يرونه.

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة أنه قال: «قال الصحابة: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ **قال: هل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال: هل تضارّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم سترون ربكم يوم القيامة**»، وفي حديث جرير: «**كما ترون القمر ليلة أربعة عشر أو ليلة البدر**».

نسأل الله أن يرينا وجهه.

وهي الزيادة الواردة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. قال ابن تيمية: إذا ذكر الله الزيادة في القرآن فهي النظر إلى وجهه الكريم.

وفي حديث صهيب عند مسلم: «**إن الله يقول لأهل الجنة أتريدون نعيماً؟ قالوا: يا رب ماذا نريد؟ وقد بيّضت وجوهنا وأرضيتنا. قال: فإن لكم عندي موعداً لا تخلفونه. قال: فيكشف الحجاب عن وجهه فينظرون إليه فما يرون لذة أعظم من ذلك. وهذا يوم المزيد، وهو يوم الجمعة**»، نسأل الله من فضله العظيم.

المسألة التاسعة عشر: مناديل أهل الجنة

مرّ معنا قوله ﷺ في جُبّة الحرير: «**لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا**».

المسألة العشرون: آخر أهل الجنة دخولاً الجنة

في الصحيحين أن رجلاً يمكث في النار فيخرجه الله فيقول: يا رب أخرجني من النار، ضرّ بي ريحها وأحرقني ذكاؤها أخرجني يا رب. فيقول الله: أتسأل شيئاً يا ابن آدم بعدها؟ قال: لا والله يا رب. فيعطي ربه

المواثيق فيخرجه ينظر إلى أبواب الجنة. قال: يا رب قرِّبني من أبواب الجنة، قال: أتسأل غيرها؟ فيقول: لا والله يا رب يعطي ربه المواثيق فيقربه فينظر إلى نعيم الجنة. قال: يا رب أدخلني الجنة. فيبتسم ﷺ فيقول الله: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أما أعطيتني العهود والمواثيق؟!

فيُدخله الله الجنة فيقول الله له: تمنَّ، فلا يزال يتمنى، والله يُذكره حتى تنقطع به الأماني، فيعطيه الله عزَّ وجل خمسة أمثال ما تمنَّى، وفي حديث أبي هريرة: عشرة أمثال ما يتمنَّى[١].

الجنة موجودة ولا تفنى

من معتقد أهل السنّة والجماعة أن الجنة موجودة الآن، وأن الشهداء في عهد الرسول ﷺ دخلوا الجنة وأنهم نُعِّموا، وأن الإِنسان قد يرى الجنة إذا مات أو يُفتح له نافذة إلى الجنة.

ومن معتقد أهل السنّة وهو صحيح عدم فناء الجنة. وأهل الجنة خالدون مخلَّدون لا فناء لهم. قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي: النار والجنة حق وهما موجودتان لا فناء لهما.

أمّا بعض الفلاسفة فقالوا: تفنى الجنة والنار.

وقال أبو الهذيل العلاّف المعتزلي: يُفني الله حركات أهل الجنة وأهل النار. وهذه أقوال باطلة، بل الجنة حق والنار حق، وهما موجودتان الآن لا فناء لهما بل خلود أبدي سرمدي.

هذا ما حضرني في هذا المبحث، وما وفقني الله أن أقدمه لإِخواني وأخواتي عن الجنة ونعيمها من الكتاب والسنّة. مبتهلاً إلى الله أن ينفع به وأن يهدي به، وأن يجعله لنا لا علينا إنه هو القادر على ذلك والمجيب للدعاء.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد.

---

(١) متفق عليه.

دار القرار

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾
وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ
وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾
أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

كان ﷺ يتحدث عن الجنة كثيراً... وكان يتكلم عن الجنة طويلاً ومقصده رضاء الله.

طلب منه بعض الناس ملكاً في الدنيا. فقال: «**الجنة**».

قال له الناس: ماذا تريد منا؟

قال: «**أن تبيعوا نفوسكم إلى الله**».

قالوا: فما لنا؟

قال: «**الجنة**».

قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل.

لم يعدهم ﷺ قصور الدنيا ولا ذهبها ولا بفضتها ولا بمناصبها... بل الجنة فحسب.

صهرتهم الشمس رضوان الله عليهم... جاعوا... ظمئوا... تقطعت أجسامهم من الجراح... مسّهم القرح... تألموا... شُتتوا... شُردوا... حُبسوا.

فلا يريدون إلاّ الله ثم الجنة.

دخل عبد الله بن حذافة وهو مسجون مأسور على ملك فارس، فقال له ملك فارس: يا عبد الله بن حذافة أتعود عن دين محمد وأعطيك نصف ملكي؟

قال: والله الذي لا إله إلاّ هو لا أعود طرفة عين عن دين محمد ﷺ ولو أعطيتني ملكك وملك آبائك وأجدادك!

علّم الرسول ﷺ أصحابه أن الدنيا قصيرة... ستين سنة... سبعين سنة... مهما جاع العبد... مهما ظمىء... مهما نام على الخشن... مهما وجد من المشقة... لكنه يعمل لجنة عرضها السموات والأرض.

فاعمل لدار غداً رضوان خازنها   الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها   والزعفران حشيش نابت فيها

يقول ﷺ وهو مع الصحابة في مجلس عامر: «**دخلت الجنة البارحة فسمعت صوت حذاء بلال**».

فيقول ﷺ لبلال: «**ماذا كنت تصنع يا بلال حتى دخلت الجنة**»؟

قال: يا رسول الله أنا لست بكثير صيام ولا صلاة ولا صدقة

لكني ما توضأت وضوءاً إلاَّ صليت بعده ركعتين[١].

ينادي ﷺ من على منبره الصحابة فيقول: **«هل من مشمِّر للجنة، إن الجنة والذي نفسي بيده لقصر منيف، ونور يتلألأ، ونهر يضطرب... فهل من مشمِّر للجنة»؟**

قال الصحابة: نحن يا رسول الله.

قال: **«قولوا إن شاء الله»**[٢].

● خرج الصحابة لمعركة أُحد بطونهم جَوْعى... أكبادهم ظمأى... بيوتهم من الطين... كسروا غمود سيوفهم على ركبهم يريدون الجنة، فلما التقوا مع الكفار فرَّ بعض الناس وثبت أنس بن النضر يقاتل، وقال سعد بن معاذ: أين تذهب يا أنس؟

قال: إليك عني يا سعد والله الذي لا إله إلاَّ هو إني لأجد ريح الجنة من دون أحد.

● وقفوا رضوان الله عليهم في بدر فخرج ﷺ في درعيه وقال: **«يا أهل بدر والذي نفسي بيده لقد جمَّل الله الجنة لكم وما بينكم وبين الجنة إلَّا أن يقتلكم هؤلاء فتدخلون الجنة»**.

فيقول عمير بن الحمام: يا رسول الله ما بيننا وبين الجنة إلاَّ أن يقتلنا هؤلاء فندخل الجنة؟!

قال: **«إي والذي نفسي بيده»**.

كان هذا الصحابي يأكل تمرات فألقاها من يده وكسر غمد سيفه على ركبته وقاتل حتى قتل ودخل الجنة[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن ماجه وضعفه الألباني (٩٤٦).

(٣) الإصابة (٧/ ١٦٢)، ورواها مسلم.

• الرسول ﷺ ينادي بالجهاد فيخرج حنظلة الغسيل في ليلة العرس ولم يغتسل من الجنابة فيأخذ سيفه فقاتل حتى قُتل.

فالتفت ﷺ إلى السماء فأشاح بوجهه وقال: «**سلوا أهل حنظلة ما باله**»؟

فسألوهم.

فقالوا: خرج جُنباً، فأخبرهم ﷺ أن الملائكة غسلته فهنيئاً لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾.

إن أخشى ما نخشاه أن نركن إلى الدنيا وأن نرضى بقصور الدنيا وبفِلل الدنيا ونترك جنة عرضها السموات والأرض. يصف ﷺ شجرة من أشجارها فيقول: «**يسير الراكب في ظلها على فرسه المجدّ مائة عام لا يقطعها**»[1] ومع ذلك لا مرض ولا هم ولا غم ولا حزن ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتمخّطون ولا يحزنون... قلوبهم على قلب رجل واحد خلا من الحسد والحقد والضغينة.

يقول ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت قصراً أبيض فقلت: لمن هذا القصر؟**.

قالوا: لعمر بن الخطاب.

فأردت أن أدخل القصر فتذكرت غيرتك يا عمر».

فبكى عمر وقال: أمنك أغار يا رسول الله؟! كأن لسان حاله

---

(١) متفق عليه.

يقول: أنت سبب هدايتي للإسلام ودللتني على الله وأدخلتني الجنة بإذن الله ثم أغار منك يا رسول الله؟!.

● يقول ﷺ: «**من يقتل خالد بن سفيان أحد المجرمين وأضمن له الجنة؟**».

فيقول عبد الله بن أنيس شاب في الثلاثين من عمره: أتضمن لي الجنة يا رسول الله؟

قال: «**أضمن لك الجنة**»، فقتله وأتى برأسه وقال: يا رسول الله أعطني علامة تكون علامة أني من أهل الجنة.

فأخرج له عصاً من خشب وقال: «**خذ هذه العصا علامة بيني وبينك يوم نلقى الله في يوم العرض الأكبر تتوكأ بها في الجنة ـ أي تعتمد عليها ـ والمتوكئون بالعصي في الجنة قليل**»[1].

فأخذ العصا وهو مصدِّق... أخذها وهو يعلم أنه سوف يتوكأ عليها في الجنة... فكان ينام بها ويصحو بها ودفنت معه في قبره وسوف يلقى بها رسول الله ﷺ يوم القيامة ويتوكأ بها في الجنة.

● قام شاب في العشرين من عمره من الأنصار قبل معركة أحد فقال: يا رسول الله ألا تتركني أجاهد معك؟

قال: «**أنت شاب صغير**».

قال: يا رسول الله لا تمنعني من دخول الجنة، والله الذي لا إله إلاَّ هو لأدخلنّ الجنة.

قال: «**بمَ تدخل الجنة؟**».

---

(١) رواه أحمد (١//٤٩٦) وانظر: سيرة ابن هشام (٢//٦٩).

قال: فيّ خصلتان اثنتان: أحب الله ورسوله... ولا أفرّ يوم القتال.

فأعطاه الله ما تمنى فقتل في المعركة فكان من الشهداء.

والعجيب أن هناك قوماً أعمى الله بصائرهم... فقالوا: نحن لا نطلب الجنة ولا نعمل للجنة ولا نريد الجنة... نحن نعمل فقط لرضوان الله وسواءٌ أُلقوا في الجنة أو في النار! وهذه مقولة غلاة الصوفية ونُقلت عن رابعة العدوية أنها قالت: لا أعمل طلباً لجنته ولا خوفاً من ناره وإنما أعمل لوجهه.

وهذا خطأ يخالف القرآن والسنّة، والله عزَّ وجل يقول: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ والآخرة تشمل ما عند الله... رضا الله... وجنة الله... وعفو الله... والنظر في وجه الله تبارك وتعالى.

أسأل الله لي ولكم دخول الجنة والفوز بمرضاة الله وأن يُباعدنا عن دخول النار إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

أخبار النار

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

عنوان هذا الدرس (أخبار النار) نعوذ بالله وإياكم من النار، وجنَّبنا كل عمل أو فعل أو قول يدل على النار.

إن الملوك إذا شابت عبيدهم   في رقِّهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً   قد شبتُ في الرق فاعتقني من النار

يقول الله سبحانه وتعالى عن أحد المجرمين: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ الغلّ جمع اليدين وراء الظهر والكتف.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أي أصلوه نار جهنم التي تتلظى لا يراها راءٍ أو يدخلها داخل إلاّ سقطت فروة وجهه في النار.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾، يُسلك فيها سلكاً حتى تخرج والعياذ بالله من فمه ودبره.

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ يقولون: تُقَلب يَمنة ويَسرة.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ والخلود هنا لغير الموحِّدين، أما عصاة الموحدين فلا يخلدون في النار بل قد يدخلون النار فمنهم من يمكث ألف سنة، ومنهم من يمكث مائة سنة، ومنهم من يمكث سنة، نعوذ بالله من النار.

وعقيدة أهل السنّة أنهم لا يقولون بتخليد أهل الكبائر في النار بل ربما دخلوها وأُخرجوا منها.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.

أيها المسلمون اسمعوا لأخبار الصالحين وهم يتعوّذون من النار، ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾. فقد وصف الله الصالحين بأنهم يتعوّذون من النار وأنهم يسألون الله أن يصرف عنهم عذاب النار.

ذكر أهل العلم بأسانيد جيدة أن عائشة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ زوجة الرسول ﷺ كانت تردد قوله سبحانه وتعالى:

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ وتبكي.

قال أحد الرواة: سمعت عائشة تردِّدها في صلاة الضحى وتبكي فذهبت إلى السوق وعدت فأتيت وهي تبكي وتردِّدها.

وأما ابن عمر فذكر عنه وكيع صاحب كتاب الزهد أنه قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾، فبكى حتى أُغمي عليه ورُشّ بالماء.

وابن وهب ذكر عنه الذهبي أنه سمع ابنه يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ فأُغمي عليه حتى حمل على أكتاف الرجال.

أما ابن تيمية فيذكر عن علي بن الفُضيل بن عياض أحد الصالحين الزهاد الكبار قال: صلَّى أبوه فقرأ سورة الصافات وكان ابنه علي من أخشى الناس لله وكان وراءه في الصف فقرأ الفضيل: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فأُغمي على ابنه فحملوه إلى البيت فحركوه فإذا هو قد مات... ذكرها ابن كثير وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي قصة صحيحة.

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي كانوا من أخشى الناس لله - سبحانه وتعالى - وكانوا إذا ذكر أحدهم النار زفرَ زفرة، ولاعَ لوعة، وذكرَ ذِكراً، وكان لذكرهم فائدة في عملهم وحزنهم لله.

فأوصي نفسي وإياكم بالاستعاذة من النار، فعند مسلم عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «**قل أعوذ بالله من عذاب النار، وعذاب القبر، وفتنة المحيا، وفتنة الممات، وفتنة المسيح الدجال**».
ومن يستعيذ من النار سبع مرات قالت النار: يا رب أجره مني.

وفي حديث الحارث بن مسلم لما أتى إلى الرسول ﷺ قال: «**ألا أدلك على عمل**»؟

قال: بلى.

قال: «**إذا صليت الصبح فقل: اللهم أجرني من النار، سبع مرات، وإذا صليت المغرب فقل: اللهم أجرني من النار، سبع مرات**»(١)، وهو حديث صحيح نص على صحته ابن القيم.

إذاً أوصي نفسي وإياكم بعد الفجر وبعد المغرب بذكر (رب أجرني من النار) سبع مرات.

وعند مسلم عن أم حبيبة وهي زوجة المصطفى ﷺ وهي بنت أبي سفيان قالت: اللهم متعني بأبي أبي سفيان وبأخي معاوية.

فقال لها ﷺ: «**لقد سألت الله لآجال معدودة ولأرزاق مقسومة ولأيام مضروبة، ولو سألت الله لأخيك أو لأبيك أن يعيذهما الله من عذاب القبر وعذاب النار كان أفضل**».

وهذا كما يقول أحدنا للآخر: طوّل الله عمرك... وعمره لا يطول وإنما الأفضل أن يقول: وقاك الله عذاب النار... بيّض الله وجهك... غفر الله لك... زحزحك الله عن النار.

وصحَّ عند أبي يعلى من قوله ﷺ أنه قال: «**ما استجار عبدٌ من النار في يومٍ سبع مرات فقال: اللهم أجرني من النار، إلّا قالت النار: يا رب أجرهُ مني**».

فالاستعاذة منها سنة واردة.

وأوصيكم بهذا بعد التشهد وفي أدبار الصلاة وفي السجود وفي آخر الليل وفي كل مناسبة أن نستعيذ ونستجير بالله من النار.

فمهما وصف الواصفون فوالله لا يأتون على وصف النار.

---

(١) رواه أحمد.

كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر النار أُغمي عليه على المنبر.

وكان عمر رضي الله عنه إذا أوى إلى فراشه كما قالت عاتكة زوجته يتململ في فراشه حتى يقوم... حذراً من النار.

قال عدي بن حاتم الطائي - والحديث متفق عليه -: قال لنا ﷺ: «**استعيذوا بالله من النار**»، ثم قال: «**اتقوا النار**»، ثم أشاح بوجهه ﷺ ثم قال: «**اتقوا النار**»، ثم أعرض بوجهه وأشاح ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**».

أيها المسلمون شِق التمرة كالصدقة بالريال، فكلها وقاء من النار، ومن أراد أن يجعل بينه وبين النار وقاية فبالعمل الصالح ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾. فالاتقاء أن تجعل شيئاً من العمل يقيك عذاب الله وغضب الله ولعنة الله.

وقال أبو هريرة: «قام رسول الله ﷺ عند الصفا لما أنزل الله عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ فنادى ﷺ بطون مكة: «**يا بني عبد مناف، يا بني هاشم، يا بني عبدالمطلب، يا عباس عم رسول الله، يا فاطمة بنت محمد**»، ناداهم بطناً بطناً وقرابة قرابة فاجتمعوا.

قال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد... يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من عذاب النار لا أغني عنكم من الله شيئاً.**

يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار لا أغني عنكم من الله شيئاً».

ثم قال: «**يا عباس أنقذ نفسك من النار لا أغني عنك من الله شيئاً.**

يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار».

فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا؟!

فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾.

وقال ﷺ عند مسلم من حديث ابن مسعود: «**يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك**».

تَصَوّر النار تقاد بسبعين ألف زمام والزمام لا يعلم قوته إلاَّ الله، وهي تموج وتهيج على الناس في الموقف وتتميز من الغيظ وتسطو على الناس في الموقف فيعرفها الناس.

مع كل زمام سبعون ألف ملك فكيف بها؟ نعوذ بالله من النار.

وأما أبواب جهنم فصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب**» رواه أحمد بسند صحيح.

وخازنها مالك... يقول له أهل النار: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾.

وأبوابها لا يعلم الإنسان ما بين المصراعين إلاَّ الله.

وورد أن النار عليها تسعة عشر من الملائكة... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

وورد أن طعام أهلها الزقُّوم كما قال تعالى عنها: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾.

قال أبو جهل: أتدرون ما هو الزقوم؟

قالوا: ما ندري.

قال: التمر والدهن.

فيقول الله: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ يقول: ذق من هذا التمر وهذا الزبد فكُل إنك أنت العزيز الكريم.

وقال: أتدرون ماذا يمنينا محمد؟

قالوا: لا.

قال: سحر.

فيورده الله على وجهه إلى النار ويقول له: ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ۝١٥﴾ أهذا هو السحر أم لا؟

قال ﷺ ـ والحديث متفق عليه ـ: «**ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**».

قالوا: يا رسول إنها كانت كافية.

قال: «**فإن نار جهنم فُضِّلت عليها بتسع وستين جزءاً**».

نعوذ بالله من النار التي أعدها الله للمعرِضين.

أما لونها فهي قد بلغت أقصى درجات ألوان الحرارة وهو اللون الأسود، وهذا قد أثبته العلم الحديث حالياً.

روى الترمذي بسند صحيح أن الرسول ﷺ قال: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، وأُوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، وأُوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة**».

وأما قعر جهنم ـ ونعوذ بالله من جهنم ـ قال أبو هريرة: كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة (أي صوت حجر ساقط).

فقال ﷺ: «**أتدرون ما هذا**»؟

قالوا: ما ندري.

قال ﷺ: «**هذه صخرة أُلقيت من سماء النار فمكثت سبعين**

خريفاً حتى وصلت الآن إلى قعر جهنم!!»[1].

والنار عند أهل السنّة والجماعة دركات والجنة درجات.

قال ابن قتيبة: الدرجات مرتفعة والدركات نازلة.

لا تقول للدرج العالي: دركات، بل درجات.

ولا تقول للدرج النازل: درجات بل دركات.

فالله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ فهي دركات نعوذ بالله منها.

أبو طالب ذبَّ عن الرسول ﷺ وحماه ودافع عنه.

فماذا كان جزاؤه؟

لقد شفع له الرسول ﷺ فجعله الله في ضَحْضاح من النار، تحت قدميه جمرة يغلي منها دماغه!! ـ نعوذ بالله ـ[2] وهو خالد مخلد في النار.

وفي الصحيح أن أخف الناس عذاباً رجل يوضع بين أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه[3].

وأما سلاسلها فقد ورد عند أحمد والترمذي بأسانيد صحيحة أن الرسول ﷺ ذكر السلسلة من سلاسل جهنم فقال ﷺ: «**لو أن حديدة وقعت من السماء وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وقعت هذه السلسلة قبل الليل**»[4].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الترمذي وضعفه الألباني في المشكاة (٥٦٨٨).

أما حيَّات جهنم وعقاربها فقال ﷺ: «**إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت**»[1]، والبخت نوع من الجمال في السودان وفي شمال ليبيا.

وحسبك إذا كانت الحية كذلك.

قرأ ابن رواحة ـ رضي الله عنه ـ وهو مع زوجته قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ فبكى حتى كادت أضلعه تختلف وهو شاب.

فقالت امرأته: ما لك؟

قال: أخبرنا الله بالورود ولم يخبرنا بالصدور!!

والصحيحَ عند أهل العلم أن الورود على الصراط ليس هو دخول النار.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ يعني تمرون عليها، الأنبياء والرسل والصالحون والأولياء والعلماء والملوك والأغنياء والفقراء كلهم يمرون على النار على الصراط الذي طوله شهر وهو أدق من الشعر وأحمى من الجمر وأحدّ من السيف يمر عليه الناس بأعمالهم فمن ناجٍ ومن مكدوس في النار ـ نسأل الله العافية ـ.

أما شراب أهل النار فهو كالمُهل، وقد فسّره ﷺ بأنه عُكر الزيت[2] وهو الحار الذي يغلي من الزيت يشربه الشارب غصباً فتندلق أمعاؤه في الأرض من دبره وكلما تقطعت أنشأ الله له أمعاء جديدة، وهكذا. نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الترمذي وضعفه الألباني في المشكاة (٥٦٧٨).

أما طعام أهل النار فالزقوم كما سبق: لو أن قطرة منه سقطت على أهل الدنيا لأفسدت طعامهم[1].

فكيف بمن كان طعامه الزقوم!!؟

وقال سبحانه وتعالى في وصفها: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾.

قال الأصمعي: جمع هارون الرشيد العلماء والأدباء وقال لهم: كيف يصف الله لنا طلع الزقوم بأنه كرؤوس الشياطين ونحن ما رأينا رؤوس الشياطين؟

فسكتوا جميعاً.

فدخل أحد الأعراب من أهل اللغة فسمعهم يتحاورون.

فقال: إن العرب تصف شيئاً معلوماً بشيء مجهول تسمع به كقول امرىء القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والأغوال ما رأيناها فيصف الرماح بأنياب الغول وهو ما رآه.

أما غلظ أجسامهم فعند مسلم في الصحيح قال ﷺ: «**ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة**»[2].

قال الشافعي: آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

ومن كذب بهذه الأخبار فهو ملعون وزنديق مارق، جزاؤه السيف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً، ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم.

أما الغمس في النار فصحَّ عنه ﷺ عند مسلم أنه تعالى يأتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيغمسه في النار غمسة فيقول له: هل رأيت نعيماً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط.

قال: لا والله يا رب ما مرَّ بي نعيم قط.

ويؤتى بواحد من أهل البؤس في الدنيا من أهل الجنة فيغمس غمسة في الجنة فيقول له الله: هل مرَّ بك بؤس قط؟

فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قط(١).

وأما خروج أناس من النار بالشفاعة، فمعتقدنا أهل السنّة والجماعة أن الموحدين لا يخلدون في النار.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في منظومته في العقيدة:

لكن عصاة من أولي التوحيد   قد يدخلونها بلا تخليد

معتقدنا أن من مات وهو صاحب كبائر قد يدخل النار أو قد تدركه شفاعة الرسول ﷺ، ولكن لو دخل النار وهو موحد فلا يخلد فيها أبداً.

والدليل على ذلك ما في الصحيحين من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فيقول الله: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»، هذه رحمة أرحم الراحمين، «**فيخرجون من النار وقد امتحشوا واسودُّوا وتغيَّرت ألوانهم فيُغمسون في نهر الحياة عند باب الجنة فيدخلون صفر الألوان مكتوب عليهم (الجهنميون) عتقاء الله من النار**».

---

(١) رواه مسلم.

وأما بعث النار، فإذا جمع الله الأولين والآخرين ـ والحديث في الصحيحين ـ قال الله: يا آدم ابعث بعثاً إلى النار.

قال: يا رب من كم؟ يعني من أمتي.

قال: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين.

فذلك يوم يشيب الولدان، ويوم تضع الحامل حملها، ويوم تذهل المرضعة عما أرضعت، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

فذهل الصحابة وقامت شعور رؤوسهم وقالوا: يا رسول الله كيف العمل؟

قال: «**أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين**».

ثم قال: «**ألا ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»؟.

قالوا: الله أكبر.

قال: «**أما ترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة**»؟.

قالوا: الله أكبر.

قال: «**أبشروا فإنكم في الأمم التي قبلكم كالشعرة السوداء في الثور الأبيض**»، نسأل الله رحمته.

وأما أوّل من تُسَعّر بهم النار فهم ثلاثة كما في حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استشهد، فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ. قال: كذبت؛ ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.**

ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتيَ به فعرَّفه نِعمَه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمتُه، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبتَ؛ ولكنَّك تعلَّمت العلم ليقال: إنك عالمٌ، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرَّفه نِعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحب أن يُنفق فيها إلَّا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلتَ ليقال: هو جوادٌ؛ فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار».

أيها المسلمون هذا الدرس (أخبار النار) وهو مجمل لما ورد من صحيح الأخبار عنها، أما الأخبار الضعيفة والواهية فتركتها، ولكن هاهنا حروزاً تمنعكم بحول الله من دخول النار:

أولها: التوبة النصوح بأن نمسي وإياكم تائبين ونصبح تائبين ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾.

وباب الله مفتوح في التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

ولا يزال كل يوم، وكلما ذر شارق، وكلما برق بارق، وكلما سطع نجم وأفاء، وكلما نزل قطر من السماء، وكلما لمع ضياء، وكلما ترقرق الماء، فلله تائب من الأولياء يعود.

الأمر الثاني: المحافظة على الفرائض، بخشوع وخضوع وتفكُّر وتدبُّر جماعة.

فأعظم ما يُنجيك من النار الصلوات الخمس جماعة.

وأعظم ما يجعلك مؤمناً هي الصلوات الخمس جماعة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

سأل رجل ابن تيمية فقال: أُصبتُ بسهم مسموم (يعني بعشق) فماذا أفعل؟

قال: عليك بالصلوات الخمس جماعة، وأكثر من الدعاء أدبار الصلوات وفي السجود وآخر الليل.

الأمر الثالث: الذكر دائماً وأبداً.

الأمر الرابع: قراءة القرآن وتدبره بحرارة وحفظ ما يستطاع.

الأمر الخامس: ترك المعاصي والذنوب ومجاهدة النفس وزجرها.

أيها اللاهي على أعلى وجل
اتقِ الله الذي عزَّ وجل
واستمع قولاً به ضُرِب المثل
اعتزل ذكر الأغاني والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل

﴿ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦﴾.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

الفهرس

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بيروت لبنان

